السبت 28 آب 2021
العدد 4423 السنة السادسة عشرة
Samedi 28 Août 2021 nº 4423 16ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

جوليابيل
«زومبيات» الزمن المعاصر

نصر الله في ذكرى التحرير الثاني: سفينة المحروقات الإيرانية الثالثة آتية [2]

كارتيل الدواء «يتنازل» بعد الدهم [6]

نكسة بايدن

[10 ـ 11]

لم يكن بايدن ليتخيّل نكسةً كتلك التي وصمت رئاسته، وسط الانسحاب الدامي من أفغانستان، والذي بات يهدّد طموحات الرئيس الأميركي (أ ف ب)

قضية

الكتاب المدرسي
لا موسم هذا العام

7

تقرير

من تركيا إلى قطر
طحنون يتلو فعل الندامة

12

سوريا

بوادر تصعيد تركي في الشمال
«قسد» تعلي استغاثاتها

14

قضية اليوم

نصر الله في ذكرى التحرير الثاني: تحميل سفينة المحروقات الإيرانية الثالثة

تحدّث الأمين العام لحزب الله، السيّد حسن نصر الله أمس في ذكرى «التحرير الثاني»، ليُذكّر بالضغوط التي مارستها الولايات المتحدة الأميركية على الدولة اللبنانية لمنع مقاتلة التكفيريين في الجرود، لا بل مدّهم بالتجهيزات والأسلحة، وليربط بينها وبين السياسة الاقتصادية المُعتمدة حالياً بمنع الاستثمارات ودخول الأموال إلى لبنان، وفرض حظر على استجرار الغاز والكهرباء اللازمين له. يعيش لبنان في ظلّ حصار أميركي، وفراغ مؤسساتي داخلي يستوجب تأليف حكومة، «كيف لم تؤدّ الدماء والصرخات والآهات بالمسؤولين إلى إنجاز حكومة؟»، سأل نصر الله

دعا نصر الله إلى استمرار العمل بكل ما يُساعد على تخفيف المعاناة (هيثم الموسوي)

الأكيد أنّ علّة النظام اللبناني بنيوية، تزيدها سوءاً سيطرة مجموعة من المُنتفعين على الدولة وجعلها في خدمتهم فقط، مع تعطيل أي محاولة لضرب مصالحهم. إلا أنّ ذلك لا يتعارض مع واقع أنّ لبنان يتعرّض لحصار أميركي، هدفه منع وضع حدّ للانهيار عبر إيجاد خطّة إنقاذية. وبحسب الأمين العام لحزب الله، السيّد حسن نصر الله، فإنّ «من ينفي وجود حصار على لبنان ولا يشعر به، هم أنفسهم الذين نفوا وجود تنظيم داعش أو غيره. من أوضح الواضحات أنّ هذا البلد يتعرّض منذ السنتين الماضيتين لحصار كبير، عبر عدد من الموانع الاقتصادية، تحت طائلة التهديد بالعقوبات الأميركية». مؤشرات عدّة ذكرها نصر الله في كلمته أمس لتأكيد وجود حصار على البلد، وهي: منع الدول من إيداع الودائع في البنك المركزي، الطلب من دول سحب ودائعها من مصرف لبنان، منع تقديم قروض وأموال، منع القيام باستثمارات... «حتّى إذا كانت دولة كروسيا والصين جاهزة لتنفيذ استثمارات يتمّ التهديد. هذا ليس حصاراً؟». بالإضافة إلى ذلك، «قانون قيصر» على سوريا، لم يكن الهدف أميركياً منه «حصار على سورياً فقط، بل على لبنان أيضاً. أغلق الأبواب على كلّ اللبنانيين الذين أرادوا الاستثمار في سوريا، وهذه ضربة كبيرة للاقتصاد اللبناني». ولا يُمكن في هذا الإطار القفز فوق كلام سفيرة الولايات المتحدة الأميركية لدى لبنان، دوروثي شيا، بعد الإعلان عن انطلاق أول سفينة محروقات إيرانية، بـ«الإذن» للبنان استجرار الغاز المصري عبر الأردن وسوريا، والكهرباء من الأردن عبر سوريا. معلومات نصر الله تُشير إلى أنّ «الموافقة ليست نهائية»، أي أنّه ليس أكيداً موافقة دوائر الإدارة الأميركية على هذا الاستثناء، ولكن بكلّ الأحوال «كلام السفيرة اعتراف ضمني بأنّهم في السنوات الثلاث الماضية عطّلوا ومنعوا تطوير قطاع الكهرباء». سنوات عانت خلالها الخزينة العامة والشعب والاقتصاد، ولم تكن الدولة لتحصل على استئذان «لولا أنّ أحداً قال إنّنا سنأتي بالبنزين والمازوت من إيران. وهذا يُهدّد مشروع الأميركيين الداخلي». ردّة الفعل على الخطوة الأخيرة تؤكد أنّه لو رفع المسؤولون في لبنان صوتهم عالياً «في وجه السفارة الأميركية والمسؤولين الأميركيين لكانوا حصلوا على استثناء من قانون قيصر». قدّم نصر الله مثالاً - مقارنة - بين لبنان والحكومة الأفغانية الموالية لواشنطن (قبل الانسحاب الأميركي من أفغانستان وسيطرة حركة طالبان على الحُكم)، التي كانت تشتري البنزين والغاز المنزلي من إيران، «فإذا كنتم فعلاً مهتمين بالشعب اللبناني، وتعتبرونه أغلى من قططكم وكلابكم، أعلنوا استثناء لبنان من تطبيق قانون قيصر».

وبانتظار «بركة» الأميركيين (إن حلّت)، أعلن الأمين العام لحزب الله الاتفاق مع «الإخوة في إيران على البدء بتحميل سفينة ثالثة، فنحن مُقبلون على موسم شتاء وسيكون هناك ضغط خلال أيلول وتشرين الأول، لذلك السفينتان الأوليان ومهما تكن الكمية المُحمّلة، مساهمتهما محدودة. نحن بحاجة إلى أكثر من سفينة». ويجب أن يستمر العمل «بكل ما يُساعد على تخفيف المعاناة، كمشروع البطاقة التمويلية». وبالتوازي، أولى نصر الله أهمية لمتابعة «ومراقبة شركات الغاز

> نصر الله: أما آن لهذا النقاش حول الحقائب والأسماء أن ينتهي؟

والبنزين والأدوية والمواد الغذائية، لمواجهة الاحتكار والتخزين والسوق السوداء». أما الأهم من كلّ الإجراءات «فهو تشكيل الحكومة، المدخل الطبيعي لإدارة الأزمة»، مُتأسّفاً كيف لم تتمكّن «دماء المظلومين في التليل (عكار)، ولا صرخات المذلولين على المحطات، ولا آهات مرضى السرطان، أن تؤدّي بالمسؤولين إلى إنجاز الحكومة؟ أما آن لهذا النقاش حول الحقائب والأسماء أن ينتهي؟».

من ناحية أخرى، رأى نصر الله أنّ كل الوقائع «تؤكّد أنّ طريقة إدارة ملفّ التحقيقات في انفجار مرفأ بيروت قائمة على الاستنسابية والاستهداف والتسييس». التأكيد بالنسبة إليه لـ«الهواجس والمخاوف التي تحدثنا عنها سابقاً» يأتي من مذكرة الجلب بحق رئيس حكومة تصريف الأعمال حسّان دياب، «ما قام به القاضي طارق البيطار استضعاف لرئيس الحكومة، ومخالف لنصوص الدستور. نُطالب الجهات القضائية بالتدخّل والتصرّف بما يُمليه الدستور، لأنّه لا يُسمح باستضعاف أي موقع».

مناسبة كلمة نصر الله أمس هي الاحتفال بالذكرى السنوية الرابعة لتحرير الجرود الشرقية في 28 آب 2017. توصف الذكرى بالتحرير الثاني «لأنها يوم انتصار. ما حصل كان جزءاً من الحرب الكونية على سوريا، وجزء من مشروع كبير لسيطرة «داعش» على كلّ المنطقة». إلا أنّ «القتال الضاري الذي خاضه الجيش السوري ورجال المقاومة منع وَصل منطقة تدمر بالقلمون». هوية المعركة كانت «لبنانية – سورية، شارك فيها الجيش العربي السوري، وقوات شعبية سورية وحزب الله، ومن الجانب اللبناني على مدى سنوات حزب الله وأهل المنطقة، وفي المرحلة الأخيرة شارك فيها الجيش اللبناني». المدّ اللوجستي تكفّلت به إيران، فذكّر نصر الله مُجدّداً بأنّ هذه الدولة «تُساعد وتدعم، في حين أنّ أميركا تصنع داعش وتُرسله إلى المنطقة وتمنع الدولة واللبنانيين من حسم المعركة في جرود البقاع تحت طائلة التهديد بوقف المساعدات للجيش اللبناني. الرئيس ميشال عون لم يرضخ للضغوط الأميركية». أخبر نصر الله كيف حمل أهل المنطقة السلاح «ومنهم من ينتمي إلى أحزاب كانت ترفض القتال. وحين تدخّل حزب الله، كان يُعبّر عن استجابة أخلاقية وجهادية لإرادة أهلنا في تلك المناطق. معارك تحرير الجرود كانت صعبة ومكلفة قبل أن يتدخل الجيش اللبناني ونُقاتل كتفاً إلى كتف».

وصف نصر الله التجربة بـ«المهمة جدّاً لحماية لبنان، وسُجّلت لمصلحة معادلة الجيش - الشعب - المقاومة، وسلاح المقاومة الذي يعمل البعض ليل نهار لاستهدافه... ونقول للتكفيريين، كما نقول للإسرائيليين، وإن عُدتم عُدنا». وتمنى نصر الله في الذكرى «التمكّن من مواجهة الحرب الاقتصادية، التي تُريد المسّ بإرادة بلدنا ومقاومتنا».

وكما كانت واشنطن تدعم «داعش» في سوريا والعراق، كانت تُغذّيه في أفغانستان. «الطائرات الأميركية نقلت كوادر داعش وعناصره من سوريا والعراق إلى أفغانستان، لتُقاتل بهم حركة طالبان ولإرباك دول الجوار بهم». حصل ذلك في السنوات التي سبقت إعلان الانسحاب، «لنتأكد من أنّ كلّ العناوين التي طُرحت بعد أحداث 11 أيلول، لغزو أفغانستان والعراق، عناوين كاذبة وكان الغرض الحقيقي الاحتلال ومصادرة القرار السياسي ونهب ثروات البلاد». وما يشهده العالم اليوم في أفغانستان «مشهد كامل لهزيمة وفشل وسقوط أميركي كامل».

كلمة نصر الله تزامنت مع ذكرى 31 آب، اختطاف واحتجاز الإمام السيد موسى الصدر والشيخ محمد يعقوب والصحافي عباس بدر الدين في ليبيا عام 1978. فاعتبر أنّ «إمام المقاومة والوطن، ورمز الضمير والقيم الإنسانية، كان حاجزاً ومانعاً لأي فتنة بالبلد. إزالته كانت استهدافاً للمقاومة ومشروع تحرير القدس وفلسطين واستهداف للسلم الأهلي».

(الأخبار)

المشهد السياسي

«حصانة مذهبيّة» لدياب... وميقاتي: لن أعتذر

قبل خروجه من السرايا، بات رئيس حكومة تصريف الأعمال، حسّان دياب، «رهينة». رهينة دار الفتوى ورهينة «نادي» رؤساء الحكومات السابقين ورهينة «حقوق الطائفة». بات أسير مخاوفه من الملاحقة القضائية أو السجن أو خسارة فرصه المُستقبلية بعد خروجه نهائياً من الحُكم. ارتضى أن يكون سهماً يُطلقه مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان، ورئيس الحكومة المُكلّف نجيب ميقاتي، والرؤساء السابقون: سعد الحريري، فؤاد السنيورة وتمام سلام، في إطار صراعهم السياسي مع فريق رئاسة الجمهورية. والمعركة التي تحمل طابع المواجهة مع المحقق العدلي في قضية انفجار المرفأ، طارق البيطار، لمنح دياب حصانة تحول دون ملاحقته، هي في جانب آخر معركة حول الصلاحيات. فالمدافعون عن دياب يريدون تحويل القضية من مسألة الحصانة إلى الهجوم على رئيس الجمهورية العماد، في إطار النزاع على تأليف الحكومة.

ويوم أمس، لقي دياب «احتضاناً» مذهبياً من قبل دريان وميقاتي، حيث شاركوا في افتتاح مسجد محمد البساتنة، قرب مستديرة شاتيلا في بيروت. وألقى دريان خطبة دافع فيها عن «موقع رئاسة الحكومة»، معبّراً عن «استهجانه» ما سمّاه «التصويب على رئيس حكومة تصريف الأعمال، الدكتور حسان دياب، وهو أمر غريب عن أصول التعامل والتخاطب مع رئاسة الحكومة». وتبنّى دريان موقف رؤساء الحكومات السابقين الداعي إلى «رفع كل الحصانات بإصدار قانون من المجلس النيابي بهذا الخصوص». وهاجم دريان رئيس الجمهورية، من باب «النصيحة» بالقول: «أتوجّه بنصيحة صادقة إلى فخامة رئيس البلاد، حاول أن تنقذ ما تبقّى من عهدك وإلا فنَحن ذاهبون إلى الأسوأ وإلى أبعد من جهنّم إلى قعر جهنّم كما بشّرتنا».

وكان مكتب الإعلام في رئاسة الجمهورية قد ردّ على بيان رؤساء الحكومات السابقين الذين حمّلوا «أروقة بعبدا» مسؤولية مذكّرة الإحضار التي أصدرها المحقق العدلي في جريمة المرفأ. ورأى مكتب الإعلام في رئاسة الجمهورية أن «الكلام الخطير في البيان عن «العدالة المقنّعة» و«القضاء المسيّس» فيه إهانة واستضعاف مرفوض ومشين للسلطة القضائية»، معتبراً أن «توقيت البيان مريب، فيما رئيس الجمهورية يبذل جهداً لتأليف الحكومة للتصدي للمعاناة القاسية التي ينوء شعب لبنان تحت أثقالها». وقال إن «رئاسة الجمهورية مستمرة في التصدي لمكامن الخلل والتدقيق المركّز في حسابات مصرف لبنان وسائر مرافق الدولة لتحديد الخسائر والمساءلة».

> ميقاتي «يذكّر» رئاسة الجمهوريّة بأنّ في لبنان دستوراً أقرّ بعد الطائف!

من جهته، أكد الرئيس ميقاتي أن «الاعتذار ليس على مُفكرتي لأن لبنان بحاجة إلى تأليف حكومة. على مدى سنة الدولة مستقيلة، ونحن بحاجة إلى حكومة لتُعيد الدولة». لكنه في الوقت عينه أشار إلى أن «الوقت ضيّق وغير مفتوح». وفي حديث إلى قناة «العربية - الحدث» السعودية، قال ميقاتي إنه وعون تجاوزا عقدة حقيبتَي الداخلية والعدل، لافتاً في الوقت عينه إلى أنه «في كلّ اجتماع (مع عون) نبدأ كأننا في المربّع الأول». وهاجم ميقاتي رئيس الجمهورية عبر القول: «ليس بالسهولة أن تُقنع الطرف الآخر بأنّه يوجد اتفاق طائف ودستور جديد جعل فصلاً مُعيّناً لدور رئيس مجلس الوزراء. ورئيس الوزراء يجب أن يكون له الدور الأول في التشكيل». وعن استيراد النفط الإيراني، قال ميقاتي: «تفريغ السفينة في لبنان سيُعرّضه لعقوبات، ولن نسمح لأحد بأن يودي بنا إلى عقوبات». ووجّه رسالة إلى جامعة الدول العربية مطالباً إياها بتقديم «شمعة للبنان بدلاً من أن ننتقد الظلام. نحن بحاجة إلى المساعدات. لا أستطيع أن أقف بوجه المواطن، وأقول له هذا موقف سياسي. لا تتخلّوا عن لبنان، ودوري أن أثبّت لبنان في الحضن العربي».

(الأخبار)

مقالة

تقاطع ميقاتي «الرمادي» مع تجربتِي الحريري وسلام مع عون

هيام القصيفي

كان بإمكان رئيس الحكومة المكلّف نجيب ميقاتي أن يستلهم من تجربتَي الرئيسين سعد الحريري وقبله الرئيس تمام سلام معنى المفاوضات المباشرة مع رئيس الجمهورية ميشال عون ورئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل. لكنه بدلاً من ذلك راهن على تقاطعات محلية وإقليمية تجمعهما، وعلى تاريخ علاقة ثلاثية مع حزب الله، يمكن من خلالها الوصول الى السرايا بأقل الأثمان. لكنه حتى الآن لا يزال يدفع من رصيده المحلي والإقليمي، من دون أن يقطع نصف المسافة المؤدية الى التأليف.

حين خاض ميقاتي أولى تجاربه الحكومية، لم يكن يقوم بها من منطلق الخصومة أو المواجهة مع عون وباسيل. وهما اللذان كانا قد تميّزا بمقارعة الرئيس فؤاد السنيورة وبعده الحريري (قبل التسوية الرئاسية وشهر العسل بينهما). في حكومته الأولى، كانت التغطية الدولية والإقليمية للإشراف على الانتخابات أكبر من المماحكات السياسية. في المرة الثانية، مهّد باسيل – بالإعلان من الرابية عن انسحاب الوزراء من حكومة الرئيس الحريري أثناء وجوده في واشنطن - الطريق لعودة ميقاتي الى ترؤس «حكومة اللون الواحد»، ما سحب كل عناصر المواجهة بين عون والرئيس المكلف، الذي أعطى لتكتل الإصلاح والتغيير حصته من دون كلفة عالية، وأعاد لباسيل مقعده الوزاري في وزارة الطاقة.

ظروف المفاوضات اليوم مختلفة، من موقعَي عون وباسيل من جهة وموقع ميقاتي من جهة أخرى. فالطرف الأول يخوض معركة المواجهة الكبرى في اتجاهات متفرقة، ضاغطاً على ميقاتي في المكان الذي يوجعه. ليس سهلاً على الرئيس المكلف الذي أعطى لنفسه مهلة محددة، ثم تراجع عنها ثم عاد ليدوّر الزوايا، أن يغرق بالإيجابيات والتصريحات المطمئنة وهو يدرك أن العقبات لن تزول بسرعة من أمام وصوله الى السرايا الحكومية. يلعب العهد لعبة الوقت مع ميقاتي. وحده أم من ورائه حزب الله؟ ذلك هو السؤال الذي يشكّل بالنسبة الى من أيّد وصول ميقاتي الى مرحلة التكليف، المفتاح لحل عقدة الحكومة. لكنه في الحالتين، يعرف مكان الضعف في رغبة الرئيس المكلف في أن يكون رئيساً للحكومة، قبل الانتخابات وبعدها حُكماً، وهذه النقطة أساسية ومهمة على طريق تكوين كتلته النيابية المقبلة، فيخرج من عباءة طرابلس وحدها. كما أن تأليف الحكومة، عدا عن الإضافات الإقليمية والدولية، هو المكان المناسب للعهد في ترجمة «صموده» منذ 17 تشرين حتى اليوم، ضد حملة إسقاطه محلياً وخارجياً، واستبعاده لاعباً وناخباً ومرشحاً في الانتخابات الرئاسية المقبلة، مهما كانت كلفة ذلك على الناس اقتصادياً ومعيشياً.

> كلمة السرّ الإقليمية لم تصل الى ميقاتي المتمسّك بدعم باريس عديم الفائدة حتى الآن

ميقاتي لم يستفد من تجربة الرئيس السابق تمام سلام في معركة إدارة التفاوض الشاقة مع عون وباسيل، قبل انتهاء عهد الرئيس ميشال سليمان وبعده، كما كان يجري خلال جلسات مجلس الوزراء الصاخبة. وكذلك الأمر من تجربة الحريري الأخيرة في جولات ماراتونية مع عون وباسيل بالواسطة، من دون طائل. فرغم أن كلمة السر الإقليمية لم تصل إليه، وظلّ متمسكا بدعم باريس عديم الفائدة حتى الآن، إلا أن محاولته القفز فوق حسابات عون وباسيل الداخلية المحض أعادته الى المربع الأول. والعهد وباسيل جارياه في سياسته الترويجية الإيجابية، كما فعلا سابقاً مع الحريري، لا بل تفوّقا عليه، رغم أن مجال ميقاتي أسهل وأوسع في المناورة مما كان عليه الأمر مع الحريري. فهو «ابن الخط» الذي لا يبعد كثيراً عن اتجاه العهد، وهذا ما راهن عليه بدوره، لكنه استنفد حظوظه معه، لحسابات لا تتعلق به حصراً. لذلك فإن كل يوم يمر، يزيد من فرص الحصار عليه، داخلياً بأبعد مما حوصر به الحريري، أولاً من رؤساء الحكومات السابقين، الذين لكل منهم تجربة مُرّة مع عون وباسيل في عملية التأليف، وثانياً من كلفة الوضع الاقتصادي المتأزم أكثر فأكثر، وثالثاً في القرارات القضائية في حق رئيس الحكومة المستقيلة حسان دياب الذي سبق أن زاره الحريري متضامناً كما فعل رؤساء الحكومات السابقون، وفي حق حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، حتى من دون التوقف عند تداعيات وصول باخرة النفط الإيرانية. من الصعب على من يعاين الوضع المالي والاقتصادي والاجتماعي من خارج لبنان، أن يصدّق حجم العوامل الداخلية والشخصانية في عملية التأليف، بعيداً عن كل الأسباب الموجبة التي تحتّم السرعة لا المماطلة في وضع عملية إنقاذ كبرى، فترمى كل العراقيل على الأسباب الإقليمية والدولية. إلا أن المفاوضات في قصر بعبدا وخارجه محكومة بتفاصيل صغيرة عن الحصص والأسماء المُنزلة والقبض على وزارات أساسية، وعن الصفقات المنتظرة والأموال الآتية من صناديق الدعم، والأهم عن رسم استراتيجية السنة الأخيرة من العهد وما بعده. عند هذه النقطة، بإمكان ميقاتي أن يفوز بعملية التأليف أو يخسرها، فيما لن يكون عون متفرجاً على من يحاول قطف السنة الأخيرة من العهد.

محروقات الصقر صالحة للاستخدام

لا يزال رجل الأعمال القوّاتي، إبراهيم الصقر، متوارياً عن الأنظار، منذ أن صدر قرار قضائي بالتحقيق معه على خلفيّة كشف فرع المعلومات وجود نحو مليونَي ليتر من البنزين مخزّنة في عقار عائد له في زحلة. وتبيّن أن الصقر ترك هاتفه الخلوي مع أحد أفراد عائلته، و«خرج إلى جهة مجهولة». وقد كشفت منشآت النفط على البنزين المخزّن، وتبيّن، بعد فحصه مخبرياً، أنه صالح للاستخدام. وستبدأ فرق تابعة لمنشآت النفط «استخراج» البنزين المخزّن اليوم، بأمر من النيابة العامة التمييزية، ما سيسمح لها بمعرفة كميّته بدقّة.

(الأخبار)

في الواجهة

التأليف المتعثّر: دوران أسماء وحقائب أم رائحة المازوت؟

لم يعد من تفسير معلن لتعثّر اجتماعات تأليف الحكومة، الثلاثة عشر المنقضية بين رئيس الجمهورية والرئيس المكلف، سوى الدوخان من حول حقائب وأسماء ليس إلا. كأنها وحدها العلة. تتقدم خطوة إلى الأمام قبل أن تتراجع خطوات إلى الوراء. أما سرّ عدم الاستعجال، إما هو ضائع أو مكتوم

نقولا ناصيف

في الأسبوعين المنصرمين، برز الإعلان عن قرب وصول باخرة نفط إيرانية إلى لبنان، بمسعى من حزب الله، تجميد التفاوض بين الرئيسين ميشال عون ونجيب ميقاتي، في انتظار جلاء مصيرها. استعاد الرجلان اجتماعاتهما هذا الأسبوع، وتوقفا حيث كانا انتهيا قبل أكثر من عشرة أيام، في يوم ذكرى عاشوراء، الذي قيل إنه أوقف دوران التفاوض.

بمرور أيام على كلام حزب الله عن باخرة النفط، انطفأ الجدل من حول تفاصيلها. لم يُعرف بعد متى ستصل إلى لبنان وكيف؟ قبل أن تكثر الأسئلة عن رسوها، وإفراغ حمولتها، وطريقة مدّ الأسواق بها في معزل عن شركات الاستيراد والتوزيع والمحطات المتعاقدة معها، المرتبطة بدورها بشركات أجنبية غير راضية، إن لم تكن منددة ورافضة تماماً المهمة الإيرانية الجديدة في لبنان. إجراءات تفصيلية مهمة في ذاتها بمثل قرار الرسو، بعدما قيل إن وجهتها المحتملة هي مرفأ بانياس، ومنه تنقل شحنتها إلى لبنان.

> **ثلاثة معطيات تؤخر التأليف: الباخرة الإيرانية، مصير سلامة، رفع الدعم**

لم يصدر منذ الإعلان عن الباخرة من أي في السلطات الرسمية اللبنانية موقف ما. بيد أن ذلك لا يحجب حقيقة أضحت في صلب الاشتباك الداخلي، نجمت عن مغزى إدخال العامل الإيراني في قلب أزمة الانهيار والمعالجة الاقتصادية.

منذ كشف الأمين العام لحزب الله السيّد حسن نصرالله، بمبادرة منه، عن قرب وصول أولى السفن الإيرانية محمّلة المازوت، لم يعد في الإمكان التطرق إليها كمساعدة، مع أن الجمهورية الإسلامية نفت عنها الصفة تلك، بعد القول إنها مشتراة. ليست هبة أو مساعدة مجانية، وتخضع لقاعدة البيع والشراء في السوق اللبنانية، مبددة بذلك أي بعد سياسي يُفشّر لها.

ما هو طبيعي ومتوقّع عند الرئيس المكلف، أن أي قرار يقتضي أن يصدر عن الحكومة اللبنانية حيال الباخرة تلك هو التحفظ أولاً وأخيراً، وعدم الترحيب باستقبالها، ولا السماح لها بالرسو حتى. موقف كهذا لا يقتصر عليه كمسؤول، قبل تأليف الحكومة كما بعدها كما أيضاً في حال اعتذاره، بل يطاول جزءاً كبيراً من طائفته ينظر بريبة وشكوك إلى دور طهران في الخلافات اللبنانية - اللبنانية، وتتوجس من الدعم الذي تقدّمه إلى حزب الله، وترى أنه تسبّب فوق ذلك كله بعزلة لبنان عن عالمه العربي ما ضاعف في ضائقته الاقتصادية والنقدية، في أحسن الأحوال لا تصلح مقاربة النفط الإيراني الموعود على غرار هبة النفط الموقّع عليها بين العراق ولبنان من خلال تفاوض سلطاتهما الرسمية. ناهيك بأن النفط العراقي غير مدرج في العقوبات الأميركية، المجاز له تصديرها. وليست بعد على جواب واضح وقاطع عن سؤال وجهه إلى المعنيين: هل ستصل الباخرة الإيرانية إلى لبنان فعلاً؟

(هيثم الموسوي)

ثانيها، طلب غربي قيل إن الأميركيين وراءه، يطلب من الحكومة الجديدة في حال تأليفها عدم إقصاء حاكم مصرف لبنان رياض سلامة من منصبه في المدى القريب، وإن يكن عن أي مؤثرات أو مستجدات داخلية أو خارجية. يحتاج إلى أقل من تسوية وأكثر من تفاهم يشترك فيه أكثر من فريق، غير مكتفٍ برئيس الجمهورية والرئيس المكلف.

بعض المعطيات المعزو إليها تعثر التأليف ثلاثة:

أولها، أن الرئيس المكلف لم يحصل بعد على جواب واضح وقاطع عن سؤال وجهه إلى المعنيين: هل المكلف يريد تلقف وزر الرفع الكامل للدعم وهو يدخل إلى السرايا كاحد إنجازاتها، ولا رئيس حكومة تصريف الأعمال حسان دياب يريد هو الآخر مغادرة السرايا متنكباً هذا العبء. أتى المخرج الجزئي في منتصف الطريق ما بين الرجلين، في صدد ملاحقات قضائية محلية وخارجية، ناهيك بالسمعة السوداء التي باتت لصيقة به.

ثالثها، كان في ودّ الرئيس المكلف رفع الدعم كاملاً. بذلك يكون قد جنّب حكومته الجديدة تداعياته وتحمّل أعباء ما سيترتب عليه في يوميات اللبنانيين. بيد أن رفع الدعم الجزئي التدريجي إلى ما بعد أيلول، أضحى عقبة في طريق التأليف. لا الرئيس المكلف يريد تلقف وزر الرفع الكامل للدعم وهو يدخل إلى السرايا كاحد إنجازاتها، ولا رئيس حكومة تصريف الأعمال حسان دياب يريد هو الآخر مغادرة السرايا متنكباً هذا العبء. أتى المخرج الجزئي في منتصف الطريق ما بين الرجلين، فتعثّر تأليف الحكومة.

بطريقة ما أفاد المخرج الجزئي هذا رئيس الجمهورية في تفاوضه مع الرئيس المكلف على حصته. كان المأمول من الرفع الكامل للدعم، دفعة واحدة في السلع الأساسية، إرغام عون على التخلي عن بعض شروطه في تأليف الحكومة، تسهيلاً لإصدار مراسيمها كي تكبّ على معالجة ما ترتب على قرار اتخذته الحكومة المستقيلة. إذاً هو أكثر إصراراً وتمسكاً بشروطه نفسها. ذلك على الأقل ما بان في الاجتماعين الأخيرين بينه وبين ميقاتي حيال تبادل الأسماء والحقائب، كما لو أن تعثّر التأليف بات يقتصر على هذا الجانب فحسب.

مقالة

سبعة تدابير تعيد الاستقرار الاقتصادي والنقدي

أمين صالح *

الدولة مفلسة، والاقتصاد منهار، والنظام المصرفي أفلس وسقط، وسعر صرف العملة الوطنية تهاوى بسرعة ويندر بالمزيد، فانخفض في مقابل الدولار الأميركي بمعدل 93 في المئة وزادت كمية النقد المتداول حوالي تسعة أضعاف ما كانت عليه في بداية عام 2019، وتم تهريب الأموال بالعملات الأجنبية إلى الخارج برعاية المصرف المركزي وتسهيله وتشجيعه، وانخفضت القدرة الشرائية للمداخيل بمعدل 93 في المئة وارتفع معدل التضخم إلى ما يزيد على الـ 150 في المئة وأدى ذلك إلى فقدان الغذاء والدواء والمحروقات وارتفعت أسعار السلع والخدمات ارتفاعاً مجنوناً تراوح بين 700 و980 في المئة، وأصاب الشلل كل المرافق الاقتصادية في البلاد من دون استثناء، وانتشرت الفوضى التي قد تصبح شاملة وتتدحرج إلى انهيار أمني يهدد الكيان اللبناني بالسقوط .

هذا الانهيار الشامل، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وحتى أخلاقياً، والذي يحاول الغرب الإمبريالي استثماره لمآربه الاستعمارية ولا سيما حفظ أمن العدو الصهيوني، ما كان ليحصل لولا تضافر عوامل داخلية بحتة أهمها النظام السياسي الطائفي والاختلال الاقتصادي والفساد والعجز في المالية العامة والهندسات المالية والنظام الضريبي غير العادل ووضع اليد على المرافق العامة من قبل قوى مشاركة في السلطة. ولعل أهم هذه العوامل على الإطلاق تفاقم الدين العام وتعاظم (عبئه) فوائده حيث عجز الاقتصاد اللبناني عن تأمين خدمته. والأخطر من ذلك أن بعض أبواق المتنفعين من السلطة وأتباعها ومرتزقتها من خبراء وقوى سياسية وإعلامية بدأوا يمهدون لرهن أو بيع موجودات لبنان من الذهب وأصول الدولة من أراض ومرافق عامة، وذلك لاستكمال عملية السطو على الأموال العمومية كافة وإفلاس الوطن بعد إفلاس الدولة. كذلك، بدأ هؤلاء التمهيد والتبرير لتحصيل وجباية الضرائب والرسوم وخدمات المرافق العامة من مياه وكهرباء على أساس سعر صرف الدولار بالسوق السوداء، مما يؤدي حتماً إلى زيادة عبء الضرائب بما لا يقل عن 14 ضعفاً على المواطن اللبناني وزيادة مماثلة في أسعار السلع والمواد.

إن ذلك كله يحصل وفقاً لخطة مدروسة وممنهجة ومعتمدة من قبل الدولة العميقة في لبنان المكونة من تحالف الزعماء السياسيين للطوائف والمذاهب ورأس المال الريعي، وينفذها حاكم مصرف لبنان وإدارة المصرف المركزي، ويرعاها ويشرف عليها صندوق النقد الدولي الذي يمثل قوى الهيمنة الرأسمالية الغربية والهدف واضح دفع البلاد إلى الانهيار الشامل ووضع الشعب اللبناني أمام خيارين لا ثالث لهما:

أولاً: خيار الدولة العميقة القائم على تحميل الشعب اللبناني الخسائر المالية اللاحقة بالدولة باعتماد الوسائل النقدية التالية:

إحداث الانهيار المالي والنقدي.

زيادة كمية النقد المتداول.

خفض سعر صرف الليرة اللبنانية مقابل الدولار الأميركي.

زيادة الأسعار للسلع والخدمات كافة.

رفع الدعم عن السلع الأساسية كالغذاء والدواء والمحروقات.

زيادة الضرائب والرسوم.

لقد أنجزت الدولة العميقة البنود الأربعة الأولى وهي بصدد استكمال رفع الدعم واستكمال زيادة الضرائب والرسوم عن طريق الجباية على أساس سعر الصرف في السوق السوداء.

إن ما تقدم يعني أن الدولة العميقة قد استغلّت وباء كورونا وضعف حركة الانتفاضة الشعبية وقررت تدفيع الشعب ثمن فسادها وجباية الخسائر من مدخرات ومداخيل الفقراء والمعوزين وذوي الدخل المحدود.

وخيار الدولة العميقة هو خيار الوصاية الدولية الممثلة بصندوق النقد الدولي والذي أملى على الحكومة تنفيذ التدابير المذكورة أعلاه تحت شعار "القيام بالإصلاحات".

وقد انصاعت الحكومة لهذه الإملاءات وتلك الشروط، وأوكلت تنفيذها إلى السلطة النقدية وعلى رأسها حاكم مصرف لبنان والمجلس المركزي لمصرف لبنان وهو مجلس يمثل الزعماء السياسيين للطوائف والمذاهب أصحاب السلطة السياسية، وهذا الحاكم - وهو واجهة لنظام سياسي واقتصادي فاسد وجشع ومحتكر - ينفذ بارتياح هذه التدابير لأنه متورط مع الدولة العميقة بعمليات فساد وتبييض أموال موضوع تحقيق قضائي لبناني ودولي.

إن هذا الخيار وبصراحة تامة، هو خيار خارجي، ويتطلب بالإضافة إلى ما تقدم ولتوفير بعض الدعم الخارجي من المؤسسات والهيئات والصناديق الدولية ما يمس بالسيادة الوطنية ويهدد وحدة البلاد، وتنفذه الشبكة الحاكمة لاعتقادها أنه طريق خلاصها أيضاً ووسيلة استمرارها.

ثانياً: الخيار الداخلي العادل القائم على توزيع الخسائر بالتناسب مع المكاسب.

إن الخيار الداخلي للحل، يقتضي النظر إليه على أنه الخيار الأفضل لجميع اللبنانيين، انطلاقاً من حرص اللبنانيين على سلامة ووحدة الدولة اللبنانية، وعلى تضامنهم في زمن المحنة لمواجهة أقسى حالة اقتصادية ومالية ونقدية واجتماعية يواجهها لبنان منذ نشأته إلى الآن.

> **أي حل يجب أن يبدأ بعزل السلطة النقدية (حاكمية مصرف لبنان)**

هذا فضلاً على أن هذا الحل يقوم على المساواة بين اللبنانيين في التضحية وفقاً لقدرة كل منهم على المساهمة في هذه التضحية، وهو خيار عادل في توزيع الخسائر بين جميع من استفاد من أرباح ومكتسبات من دون وجه حق، إذ لا يمكن القبول بأن يتحمل فقراء لبنان ومعوزوه وطبقته الاجتماعية المتوسطة تبعات هذا الحل، بل يتوجب على جميع من استفاد من فوائد الدين العام ومغانم السلطة أياً كانت مسمياتها أن يتحملوا التضحية الكبرى وهذا واجب وطني عليهم، وندعوهم إلى القبول بهذا الحل طوعاً واقتناعاً قبل أن يصبح هذا الحل مفروضاً قسراً، عملاً بمبدأ الغرم مقابل الغنم.

يقوم هذا الحل على البنود التالية:

أولاً: تشكيل حكومة إنقاذ - من خارج قوى الدولة العميقة - يمنحها مجلس النواب ثقته وصلاحيات تشريعية استثنائية، مهمتها تنفيذ خطة الإنقاذ في فترة زمنية لا تتجاوز الستة أشهر.

ثانياً: عزل السلطة النقدية برمتها بما فيها حاكم مصرف لبنان ونوابه والمجلس المركزي للمصرف ومفوضية الحكومة لدى المصرف وتعيين بديل عنهم من أصحاب الاختصاص والكفاءة والنزاهة والخبرة والاستقلال السياسي والذهني.

ثالثاً: استرداد المال العام المنهوب والمهدور:

1- الإعلان عن خسائر لبنان المالية والمتمثّلة بالدين العام وخسائر المصرف المركزي والتي تجاوزت المئة وخمسة وسبعون مليار دولار أميركي.

2- إلغاء الدين العام سواء أكان بالعملة اللبنانية أم بالعملات الأجنبية، باستثناء الدين المترتب للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، والدين المترتب لبعض الدول الأجنبية أو لمؤسسات دولية وهو زهيد جداً، ويكون الإلغاء باعتماد الوسائل التالية:

أ- استرداد الفرق في فوائد سندات الخزينة بين المعدلات المحلية والمعدلات العالمية والتي لا تقل عن 64 مليار دولار، علماً بأن ربع الدين العام صادر خلافاً للدستور والقانون، أي من دون إذن من مجلس النواب، ومن ثم توزيع هذا الفرق على فئات الودائع في المصارف من 50 ألف دولار وما فوق بمعدلات استقطاع تبدأ من 11 في المئة وتنتهي بـ 38 في المئة، وكذلك على الأموال المحولة إلى الخارج من حزيران 2019 وحتى تاريخه وعلى أصحاب المصارف ولا سيما رأس مال حملة الأسهم أياً كان نوعها.

ب- فرض ضريبة استثنائية على الثروات العقارية التي اكتسبها كل شخص شغل منصباً في الإدارات والمؤسسات العامة والبلديات واتحاد البلديات والمجالس والصناديق والهيئات العامة وذلك بمعدل يتراوح بين 3 و5 في المئة.

3- استرداد مبلغ الهندسات المالية التي أجراها مصرف لبنان لصالح المصارف التجارية وهي لا تقل عن 5,5 مليار دولار مع فوائدها من عام 2016 ولغاية تاريخه.

4- استرداد الضريبة الفائتة على فوائد سندات الدين العام منذ عام 1993 وحتى تاريخه والتي لا تقل عن مليارين ونصف مليار دولار أميركي، وقسم من هذه الفوائد أعفي بقرار من وزراء للمالية خلافاً للقانون.

5- جباية عائدات إشغال الأملاك العامة البحرية منذ عام 1994 وحتى تاريخه وهي لا تقل عن خمسة مليارات دولار أميركي.

6- تعزيز الموجودات بالعملات الأجنبية من خلال استرداد الأموال المحولة إلى الخارج في الفترة الممتدة بين حزيران 2019 وحتى تاريخه والتي لا تقل عن 13 مليار دولار أميركي (بعد حسم المبالغ المقتطعة كفوائد مستردة)، وكذلك استرداد 70 في المئة من الأرباح الموزعة على حملة الأسهم في المصارف التجارية وإدماجها في الأموال الخاصة للمصارف. وتجدر الإشارة إلى أن الأموال المستردة في هذا البند تبقى ملكاً لأصحابها وتسجل في حساباتهم الخاصة أو في حسابات رأس المال المكتتب به والخاصة بكل منهم.

7- إعادة هيكلة النظام المصرفي عن طريق الدمج والإندماج أو المزج، الطوعي أو القسري، والإبقاء على عدد من المصارف يتناسب مع حجم الاقتصاد الوطني وإعادة رسملة المصارف بما يتوافق مع إلغاء الدين العام المتوجب للمصارف على الدولة وزيادة رأس مال المصارف الجديدة من أموال المساهمين وكبار المودعين الذين تزيد ودائعهم على مليون دولار ولمن يرغب من متوسطي وصغار المودعين.

إن التدابير السبع المذكورة أعلاه يقتضي تنفيذها بصورة عاجلة وفي مهلة لا تتجاوز الستة أشهر. ومن شأن تنفيذها إحداث استقرار مالي ونقدي واقتصادي، وإعادة الثقة بالدولة مما ينعكس إيجاباً على سعر صرف العملة الوطنية، إذ من المتوقع ارتفاع قيمتها وانخفاض سعر صرف الدولار إلى حوالي الأربعة آلاف ليرة، وهو السعر الذي كان مقدراً أن يبلغه الدولار مقابل الليرة في عام 2024 وفقاً لخطة التعافي الاقتصادي التي أقرتها الحكومة المستقيلة في نيسان 2020. ومن شأن هذا الانخفاض إعادة التوازن والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي إلى وضع يُسهم ويساعد في إعادة إطلاق عجلة النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة على المدين المتوسط والطويل الأجل مع تحول جذري في بنية النظام السياسي والاقتصادي يقوم على الديموقراطية الحقيقية، والاقتصاد المنتج والتوزيع العادل للدخل الوطني والتوازن في العلاقات الدولية بين الشرق والغرب.

إن خيار الإنقاذ العادل يصبح ممكن التنفيذ إذا تبنته غالبية شعبية وازنة كبرنامج نضال مرحلي بقيادة موحدة، ووفقاً لبرنامج نضال ميداني تصاعدي يبدأ من التظاهر إلى الإضراب إلى الاعتصام والإقفال الشامل إلى العصيان المدني ووصولاً إلى وسائل أخرى.

لبنان بين خيارين: الانهيار الدائم أو الإنقاذ العاجل.

* النقيب الأسبق لخبراء المحاسبة المجازين
مدير المحاسبة العامة السابق في وزارة المالية
مدير مركز البحوث الاقتصادية

تحقيق

انفراجة في أزمة الدواء: المستوردون «يتنازلون» بعد الدهم

مليارات ونصف مليار ليرة مبيعات الدواء من مستودع العاقبية بالسعر المدعوم (هيثم الموسوي)

راجانا حميّة

للمرة الأولى منذ أشهر، يبشّر وزير الصحة حمد حسن بقرب الوصول إلى «خاتمة سعيدة» ــ ولو مؤقتاً ــ لأزمة الدواء، مع إعلانه أمس أن نقابة مستوردي الأدوية «وافقت على تحرير الأدوية الموجودة في المستودعات والبدء بطلب سريع للأدوية المفقودة في السوق»، على أن تتأمن «خلال أسبوع أو عشرة أيام كحدّ أقصى وفق المعطيات اللوجستية».

وأخيراً، قبلت نقابة مستوردي الأدوية باستيراد الدواء وإخراج ما هو موجود في مستودعاتها بعد حبسها لأشهر عن المواطنين؟ هل حقاً لدى هؤلاء «حسّ بالمسؤولية الوطنية»، كما قال حسن أمس؟ ولمَ لم «يشتغل» هذا الحسّ عندما كان الناس يصرخون طلباً لحبة دواء، ومنهم مرضى السرطان؟ ولمَ اليوم القبول بالحوار؟ لا تفسير مقنعاً لهذا «التنازل» سوى ما تقوم به وزارة الصحة من عمليات دهم لمستودعات الأدوية، والتي كانت جردتها أمس مستودعين كبيرين في منطقتي الفياضية وعين المريسة، وهما، بحسب مصادر متابعة، يحتكران نحو 65% من سعر دولار السوق، إلا أن «عدداً من الشركات لم يتجاوب مع النسبة المحددة من الحسم أو لا قدرة لديه على ذلك»، على ما يقول حسن، لافتاً إلى أن ذلك كان السبب في استدعاء بند الاستيراد الطارئ. ولذلك، وفي سياق طمأنة شركات الاستيراد، أكد حسن أنه «لن نعطي إذناً بالاستيراد الطارئ إلا للدواء المفقود من السوق»، مرجحاً أن تصل الشحنة الأولى الأربعاء المقبل. يأتي ذلك من منطلق «أننا لا نسعى إلى الصراع والمضاربة، بل إلى تأمين الدواء (...) ولن أفتح نزاعاً. فلا وقت ولا ترف لديّ لذلك».

إلى ذلك، تابعت وزارة الصحة مداهماتها للمستودعات، وقد كان الصيد أمس في الفياضية وعين المريسة، حيث كشفت المداهمات في مستودع مجموعة «فارما غروب» في الفياضية أنه غير مرخص، أضف إلى وجود «كمية كبيرة من الأدوية المدعومة وغير المدعومة التي تم استيرادها قبل رفع الدعم». وكانت وزارة الصحة العامة قد حددت في وقت سابق تسعيرة لهذه الأدوية على أساس نسبة 65% من سعر دولار السوق، إلا أن «عدداً من الشركات لم يتجاوب مع النسبة المحددة من الحسم أو لا قدرة لديه على ذلك»، على ما يقول حسن، لافتاً إلى أن ذلك كان السبب في استدعاء بند الاستيراد الطارئ. ولذلك، وفي سياق طمأنة شركات الاستيراد، أكد حسن أنه «لن نعطي إذناً بالاستيراد الطارئ إلا للدواء المفقود من السوق»، مرجحاً أن تصل الشحنة الأولى الأربعاء المقبل. يأتي ذلك من منطلق «أننا لا نسعى إلى الصراع والمضاربة، بل إلى تأمين الدواء (...) ولن أفتح نزاعاً. فلا وقت ولا ترف لديّ لذلك».

إلى ذلك، تابعت وزارة الصحة مداهماتها للمستودعات، وقد كان الصيد أمس في الفياضية وعين المريسة، حيث كشفت المداهمات في مستودع مجموعة «فارما غروب» في الفياضية أنه غير مرخص، أضف إلى وجود «كمية كبيرة من الأدوية المدعومة وغير المدعومة التي تم استيرادها قبل رفع الدعم». وفي هذا السياق، أكد حسن أن الوزارة في صدد اتخاذ قرار جديد يهدف إلى تجميد كل رخصة مستودع ورخصة الصيدلي المرخص على اسمه المستودع حين يكون مخالفاً. أما بالنسبة إلى المخالفين، فأكد أن «الوزارة تقوم بواجبها، والقضاء موجود ليكمل ما تقوم به»، مشيراً إلى أنه حتى الآن «تم توقيف خمسة من الذين تم العثور لديهم على أدوية خارج المؤسسات الصيدلانية أو أدوية مدعومة تم احتكارها داخل المؤسسات الصيدلانية الشرعية»، مشدداً على أن «لا تدخّل للإفراج عن أي من الموقوفين الخمسة بقرار قضائي».

وفي نتائج مداهماتي جدرا والعاقبية، أكد حسن أن مبيعات الدواء «وصلت إلى حدود مليارين ونصف مليار ليرة من مستودع العاقبية بالسعر المدعوم، كما بدأ مستودع جدرا بصرف مخزونه الضخم المدعوم، إضافة إلى مصادرة مضبوطات المخازن غير المرخصة في تول وزحلة وتعنايل».

كل جهة التزاماتها بحيث تأتي الشركات بالأدوية ويعطي المصرف المركزي الأذونات المسبقة ويدفع

> تصل الأربعاء أول شحنة من الأدوية وفق قرار الاستيراد الطارئ

المتأخرات، وتراقب الوزارة انتظام العملية»، لافتاً إلى أن «الأولوية لأدوية الأمراض المستعصية» وأن «الأذونات المسبقة بمعظمها هي لأدوية الأمراض المستعصية، لأن الميزانية الشهرية محدودة»، متوقعاً «أن ينسحب المسار المالي على أدوية الأمراض المزمنة».

أما بالنسبة إلى الأدوية غير المدعومة، فلم يكن طريق الوصول إليها سهلاً، وإن كان ليس مستعصياً، إذ أشار حسن إلى أن من المتوقع الوصول إلى حل مشترك مع الشركات خلال 48 ساعة.

قضية

قانون الإيجارات أمام تعديل جديد؟

هديل فرفور

عندما أقرّ مجلس النواب اللبناني التعديلات على قانون الإيجارات الجديد في 19 كانون الثاني 2017، خصّص إحدى فقراته لإنشاء حساب دعم مالي للمُستأجرين القدامى الفقراء، ممن لا يتجاوز دخلهم خمسة أضعاف الحد الأدنى للأجور. حينها، أقرّ المجلس ــ عبر المادة 58 ــ أن تطبيق أحكام هذا القانون يبقى مُعلّقاً بالنسبة إلى الفئة التي تستفيد من مُساعدات الصندوق «إلى حين البت في مسألة تمويله لمساعدة المُستأجرين الأكثر هشاشة». وكان على المنضوين ضمن هذه الفئة التقدم بطلبات إلى اللجان القضائية المختصة لتعليق مهل دفع الزيادات على بدل الإيجار الناجمة عن تنفيذ القانون خلال مهلة شهرين من تاريخ تحديد بدل المثل «رضاءً أو قضاءً بالنسبة إلى السنة الممدّدة الأولى (...) وخلال المهلة ذاتها في بداية كل سنة» وفق ما نصت المادة 8.

ورغم أن الصندوق أُنشئ (نُشر مرسوم 5700 بتاريخ 3 تشرين الأول 2019)، إلّا أن أياً من المُستأجرين لم يستفد منه حتى الآن. وإذا كانت آلية التمويل التي بقيت مبهمة خلال سنتين هي السبب خلال الفترة الماضية، «فإن الإفلاس الحالي الذي تعانيه الدولة سيكون العائق الأبرز أمام تمويل الصندوق في القادم من الأيام» بحسب تأكيد مصادر في وزارة المالية لـ«الأخبار».

المصير المُعلّق للصندوق يطرح تساؤلات بشأن الوضع القانوني للمستأجرين المستفيدين ممن أتاح لهم القانون تعليق تنفيذ الزيادات إلى حين حصولهم على مساعدات. فهل يمتنع هؤلاء عن دفع الزيادات الى حين الحصول على المساعدات الموعودة من دون أن يُعدّوا متمردين على القانون؟ وماذا عن المهل القانونية التي نصّ عليها القانون لضمان الحصول على المُساعدات؟ في الواقع، لا أحد يملك إجابة واضحة ودقيقة عن هذا اللغط الذي رافق القانون الذي وُصف بـ«الإشكالي» عندما أقر عام 2014، فلا مجلس النواب تدارك الموقف وأصدر تعديلات، ولا صدرت عن المحاكم المعنية قرارات يمكن أن يبنى عليها، «إذ تكاد تكون الأحكام القضائية في ما خص قانون الإيجارات شبه منعدمة بسبب الشلل الذي أصاب العمل القضائي» بحسب المستشارة القانونية لـ«اللجنة الأهلية للمستأجرين القدامى» المحامية مايا جعارة، مُشيرةً إلى حالة من الغموض والفوضى حيال تطبيق القانون، و«خصوصاً أن اللجان المكلفة النظر في طلبات الاستفادة من الصندوق لم تجتمع أبداً، في حين أن القانون حدّد إمكانية الاستفادة بمهلة تقديم الطلبات بعد شهرين من تاريخ تحديد بدل المثل». واوضحت أن «عشرات الآف الطلبات قُدّمت من دون البتّ بها حتى الآن، فيما حرم الكثير من المستأجرين من فرصة تقديم الطلب بسبب ظروف كورونا وغياب إمكانية التوصل الى اتفاق مع المالكين لتحديد طبيعة الزيادات»، مشددة على ضرورة تعديل القانون «بشكل يلحظ المستجدات».

الحديث عن الفوضى التي فاقمتها الأزمة لا ينحصر بمسألة مساعدة المستأجرين القدامى الفقراء من الصندوق الذي عُدّ بديلاً مجحفاً من حق التعويض، بقدر ما هو متعلق بآلية التقاضي أمام لجان لم تنعقد لتحديد بدل المثل للمأجور وبدل الزيادات تالياً. كما أنه مرتبط بكيفية احتساب المهل لتحقيق الإخلاء الذي نصّ عليه القانون مع تحرير العقود بعد صدور القانون (بين تسع سنوات و12 سنة). وعليه، فإنّ النقاش مرتبط بشكل أساسي أولاً وأخيراً بحق السكن وتغييب السياسات الإسكانية في هذا الوقت الحرج من الأزمة، حيث الحاجة الى صون هذا الحق البديهي.

قضية

الكتاب المدرسي: لا موسم هذا العام!

رغم أن سعر الكتاب المدرسي تضاعف ثلاث مرات، ينعى الناشرون وأصحاب المكتبات الموسم ويشكون من تراجع مبيع الكتاب الى اقل من 10 في المئة ومن ابتكار حلول داخل المدارس وخارجها على حسابهم

فاتن الحاج

«لم يبدأ موسم الكتاب المدرسي بعد ولن يبدأ». هذا الجواب الجاهز لدى الناشرين وأصحاب المكتبات عند السؤال عن غياب الازدحام المعتاد في مثل هذا الوقت من السنة. إذ لا إقبال من الأهالي لتسليمهم، كما في الماضي، قوائم الكتب لتأمينها. ولا يتوقع هؤلاء أن يتغير المشهد بعد منتصف أيلول، الموعد - الذروة لبيع الكتاب. ليس السبب فقط الإرباك الحاصل جراء ضبابية العام الدراسي نفسه، وما إذا كان سينطلق أم لا ومتى. بل إن الإقبال على الكتاب الجديد «لن يتجاوز هذا العام أيضاً 10 في المئة، ولن يكون حجم المبيع أفضل من العام الماضي، إن لم يكن أسوأ»، كما قال لـ «الأخبار» مدير المطبعة والمكتبة العصرية عاصم الشريف، باعتبار أن سعر أي كتاب صادر عن دار نشر لبنانية ارتفع ثلاثة أضعاف بالحد الأدنى. فالمعدل الوسطي لسعر سلة كتب الصف الأول أساسي، مثلاً، زاد من 350 ألف ليرة إلى مليونين و700 ألف ليرة.

«الحلول المبتكرة» لتأمين الكتب داخل المدارس وخارجها وضعت دور النشر والمكتبات خارج المعادلة. بحسب المدير العام لدار الفكر اللبناني، جاد عاصي، «هناك حملات منظمة تقودها إدارات المدارس لتبديل الكتب أو شراء الكتب المستعملة وتأجيرها بسعر رمزي للطلاب، ما قطع الطريق على شراء الكتب الجديدة حتى من الأهالي المقتدرين الذين قد يشكلون 25 في المئة من مجموع الأهالي». وهو ما تؤكده والدة تلميذ في مدرسة خاصة، قالت إنها لم تتردد في شراء الكتب المستعملة من خلال «غروب على واتساب» نهاية العام الدراسي، إذ لم تعد تقوى على تحمل نار أسعار الكتب الجديدة، علماً أنها اشترت أحد الكتب المستعملة بـ 380 ألف ليرة!

عاصي شكا من دعم الكتاب المستورد على حساب الكتاب الصادر عن دار نشر لبنانية وكل ما يمكن أن تسهم فيه صناعة مثل هذا الكتاب في تحريك العجلة الاقتصادية في البلد. «إذ قرر حاكم مصرف لبنان اعتماد سعر 15500 ليرة للكتب المسعّرة بالبورو، فيما نشتري كل مستلزمات صناعة الكتاب بالدولار على سعر 24 ألف ليرة، والربح صفر. وما يزيد الطين بلة أن المركز التربوي للبحوث والإنماء وزع استمارة على المدارس الخاصة أعرب فيها عن استعداده لتأمين الكتاب المدرسي الرسمي مجاناً». وعن الضجة التي أثارها سعر كتاب اللغة العربية «لغتي فرحي» الصادر عن الدار، والمقسم إلى 7 كتيبات، إذ يلامس 536 ألف ليرة، قال عاصي إن سعره 50 دولاراً، «وهو ليس مرتفعاً إذا ما قورن بسعر دفتر خرطوش من 200 ورقة بات يوازي 200 ألف ليرة».

الشريف أيضاً اعتبر أن الحلول «تأتي دائماً على حساب الناشر»، في إشارة إلى قرار وزارة الاقتصاد إجبار

> مصرف لبنان اعتمد سعر 15500 ليرة للكتب المسعّرة بالبورو ودور النشر تشتري مستلزمات صناعة الكتاب المحلي بالدولار على سعر 24 ألفاً

صاحب المكتبة على اعتماد 45 في المئة فقط من سعر الكتاب على سعر الصرف في السوق الموازية، أي أن بيع الكتاب سيحسب على سعر 8550 ليرة مقابل الدولار. ولفت إلى أن المدارس لم تقدم في السنتين الأخيرتين على طلب طبعات منقحة، بل لجأت إلى

(مروان بو حيدر)

«الكتيبات»، بحيث تختار الفصول أو المحاور المطلوبة من الكتاب وتصورها للطلاب أو تطلب منهم تصويرها، وبذلك لا يدفع الطالب أكثر من ثمن التصوير. وأشار إلى أن هناك 4 مدارس على الأقل تتعامل معه لجأت إلى هذا الإجراء هذا العام.

الشريف لفت إلى أن بعض الأهالي لم يلتفتوا العام الماضي إلى حالة الكتاب المستعمل وما إذا كانت جيدة أم لا، وهو ما أشار إليه أيضاً صاحب مكتبة الغزالي باسم الطويل الذي ينشط في تجارة الكتب المستعملة. «سوق المكتبات مضروب وتأمين الكتاب عالطلب»، كما قال، وإن بدا مستغرباً قوله إنه «ليس هناك سعر محدد لبيع الكتاب المدرسي الرسمي، لأن الدولة لم تحدد لنا سعراً، فيمكن أن تباع سلة الكتب بحسب السوق. يمكن طالب في الثانوي الأول أن يشتري مجموعة الكتب بـ100 ألف ليرة؛ في حين أن سعرها في الأصل 45 ألفاً».

في الواقع، لم يقرر حتى الآن كيف سيتم تأمين الكتاب المدرسي الرسمي. الحسنة الوحيدة أن الكتب التي طبعتها اليونسيف العام الماضي للمرحلة الابتدائية والمتوسطة وسلمت للمدارس في نيسان أو أيار بقيت من دون استخدام وتداول، في حين أن مديري المدارس الرسمية رفعوا الحاجات إلى وزارة التربية بناء على أعداد المسجلين في العام الدراسي الماضي وينتظرون الجواب. لكن ماذا لو كان النزوح من المدارس الخاصة كبيراً هذا العام؟ مصادر دور النشر التي تتعاطى عادة بالكتاب المدرسي الرسمي قالت إن المفاوضات في هذا الملف لا تزال في بداياتها ولم يتّخذ أي قرار حتى الآن، في حين أن طباعة الكتب تحتاج إلى شهرين بالحد الأدنى لإنجازها.

«الأخبار» حاولت التواصل مع رئيس المركز التربوي جورج نهرا في هذا الشأن من دون أن توفق، في حين أن منظمة اليونسيف أشارت إلى أنه ليس لديها أي تصور حتى الآن في هذا الملف.

تقرير

اللبنانيّون يتعلّقون بحبال الـ«فيسبوك»!

رضا صوايا

«لو سمحتوا وين بلاقي من هذا الدوا. ضروري كتير لو كان غير عيار»، «أي حدا بيقدر يساعدنا نأمن من هيدا الحليب لطفل عمره يومين»، «أنا نازل على لبنان بعد شي 3 أسابيع، يلّي بدّو أدوية يقلي»... هذه عيّنة من الرسائل التي تحتل صفحات مواقع التواصل الاجتماعي على مدار الساعة لأشخاص يأملون أن يجدوا «الخلاص» لدى مستخدمين آخرين، أو لأشخاص يعرضون المساعدة.

لم يكن التواصل الاجتماعي اجتماعياً في لبنان أكثر منه في الأشهر الماضية. مع تفاقم الأزمة الاقتصاديّة والاجتماعيّة، أصبحت مواقع التواصل أشبه بمكبرات استغاثة يلجأ إليها اللبنانيون طلباً للنجدة والمساعدة بحثاً عن سلع وخدمات فقدت من السوق أو بات الحصول عليها شبه متعذّر.

إذا استثنينا تطبيق «إنستغرام» الذي يبدو كأن كثيرين من مستخدميه يعيشون في كوكب آخر، فقد شهد تطبيقا «فيسبوك»، وبشكل أقل «تويتر»، تحولات جذرية. غابت صور الحفلات ورحلات السفر عن صفحات كثيرين وحلّت بدلاً منها صور أدوية وحليب وسلع مفقودة.

مهى، وهي ربة منزل، لجأت منذ أكثر من سنة إلى صفحات يعرض المشاركون فيها مبادلة الثياب والسلع الغذائية وغيرها، و«وجدت في هذه الصفحات بديلاً منطقياً من المتاجر التي لم تعد إمكاناتي المادية تسمح لي بالتبضّع منها لأولادي. لكن لم أتخيّل للحظة أن أضطر إلى مبادلة دواء عبر الفيسبوك. كنت أعتقد أن المسّ بالصحة خط أحمر. منذ أشهر، توفيت والدتي وقررت أن أعرض ما بقي من علب أدوية كانت تستخدمها لعلّني أخدم من يحتاج إليها. وصلتني مئات الرسائل من أشخاص يرجونني أن أرسلها إليهم، واضطررت بسبب كثرة الطلب إلى توزيع الأدوية بالحبة لمساعدة أكبر عدد ممكن».

يلفت شبلي الى أن «الصفحة نجحت خلال أسبوع واحد في جذب أكثر من 10 آلاف شخص، ونعرض يومياً عدداً كبيراً من البوستات المتنوعة يتركّز معظمها على الدواء والحليب».

بأن صورة البوست انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي والواتساب وتلقّيت عدداً هائلاً من الرسائل من أشخاص لا أعرفهم يطلبون مني أدوية. الطلب كان كبيراً جداً بما يوازي مخزون صيدلية بكل معنى الكلمة. عملت على تلبية ما أمكنني، وخصوصاً للحالات الأشد خطورة، وتوزعنا كشباب لبنانيين في قطر باقي الطلبات على أن يجلب كل منا بعضاً منها عند مجيئه».

في محاولة لتنظيم الطلبات وحصرها في مكان واحد، قرر نضال قاسم وشادي شبلي إطلاق صفحة «وين بلاقي؟» على موقع «فيسبوك». عنوان الصفحة كاف للدلالة على هدفها. إذ لم يعد من البديهي أن تجد دواءً في صيدلية أو سلعاً غذائية معيّنة في السوبرماركت. لذلك صار الهدف أن تجد طلبك لدى أشخاص آخرين مستعدين للتبرع به أو بيعه أو مبادلته».

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير - المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15 - 01/666314 - 03 / 828381
■ الموقع اللكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

ماذا حلّ باليسار العربي: سمات السقوط

أسعد أبو خليك *

قبل أسابيع أعلن الحزب الشيوعي العراقي في بيان فخور ودراماتيكي أن الحزب فَرَز بعد طول تفكير مقاطعة الانتخابات النيابيّة المقبلة بسبب «تعمّق الأزمة السياسيّة والأمنيّة في البلاد». والحزب هذا كان مُمثّلاً - وبزهو أميركي تناسى الماكارثيّة العريقة - في مجلس بريمر الاحتلالي في العراق، لا بل أن بريمر كان يشيد باستمرار بتعاون الحزب الشيوعي العراقي مع سلطة الاحتلال. أكثر من ذلك، كان بول بريمر يقول إن الشيوعيّين في مجلس الحكم الصوري الاحتلالي كانوا أكثر تعاوناً من باقي الأطراف المتعاونة مع الاحتلال. وكان الجمهور الأميركي يقهقه عندما كان بريمر يذكر ذلك ساخراً. المسألة تستحقّ التأمّل في تاريخ الشيوعيّة العربيّة: الحزب الشيوعي العراقي قبلَ بالانتخابات في ظلّ احتلال أميركي مباشر، لكنه قرّر - عن مبدأ، مقاطعتها في أكتوبر المقبل بسبب «تعمّق الأزمة». اي أن الحزب لم يرَ أثراً لأزمة عندما قرّر الاحتلال الأميركي إجراء الانتخابات لإسباغ الشرعيّة على حكمه. الغزو والاحتلال الأميركي لم يعمّق «الأزمة السياسية والأمنيّة» في البلاد حسب معايير الحزب الشيوعي العراقي. هذه الحقيقة في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي يجب أن تُضاف إلى تاريخ من المواقف للأحزاب الشيوعيّة العربيّة التي جعلتها بعيدةً عن المزاج الشعبي. هي قبلت بتقسيم فلسطين في عام 1947 بناءً على أوامر من الاتحاد السوفياتي، عندما كان فرج الله الحلو يقول إن صراعنا مع الصهاينة هو صراعٌ «سياسي».

وفي آذار الماضي، خطب حنا غريب (القيادي اليساري النقابي الذي عُرف بشجاعته وصلابته ومبدئيّته ونضالاته) في بيروت في مناسبة من مناسبات الحراك الشعبي وأنتقد في الخطبة هؤلاء الذين يلومون المقاومة وسلاحها فيما هم يروّجون للتطبيع مع إسرائيل - أي كان يشير إلى اتباع أنظمة الخليج في صفّ الإعلام والثأو الثاو في لبنان. ونشرت صفحة غريب على تويتر مقاطع من الخطاب، بما فيها ما ورد هنا. لكن بعد ساعات فقط، اختفت هذه التغريدة دون غيرها عن صفحة حنّا غريب.

الجناح الشبابي في الحزب الشيوعي اعترض على هذا الدفاع عن سلاح المقاومة وخشي، على الأرجح، أن يؤدّي نشرها إلى تباعد مع باقي حلفاء الحزب في الانتفاضة (هي لا زالت جارية، اليس كذلك؟) مثل حزب الكتائب اللبنانيّة الذي عقد معه قياديّون شيوعيّون اجتماعاً (واحداً؟) تنسيقيّاً. كان حزب الكتائب يطارد الشيوعيّين في كل أنحاء بيروت الشرقيّة ويقتلهم أو يطردهم أو يسجنهم، قبل الحرب الأهلية وبعدها. إنّ حملات قوى الانعزاليّة اللبنانيّة ضد شيوعيّين وقوميّين سوريّين في بيروت الشرقيّة لا تزال غير معروفة في سجلّات الكتابة عن الحرب الأهليّة. الحزب الشيوعي كان هو الذي طرح فكرة عزل حزب الكتائب في 1975، وهو اختار هذه الفترة في الذات للتنسيق مع الكتائب فيما يخوض سامي الجميّل حملة سياسيّة منسجمة ومتطابقة مع توجّهات التحالف الإسرائيلي - الإماراتي - السعودي. وأجندة الحزب كانت صهيونيّة منذ الخمسينيّات (عندما بدأ الحزب يتلقّى الدفوعات من إسرائيل) حتى يومنا هذا. لم تتغيّر قيد أنملة، والدليل على ذلك أن الحزب لم يجرِ مراجعة لعلاقته مع العدوّ لا بل هو يجاهر بها ويزهو ولا يزال يحتفل بذكرى تنصيب جيش الاحتلال لأخوين من آل الجميّل رؤساء للجمهوريّة اللبنانيّة. حزب الكتائب لم يتغيّر، لكن الحزب الشيوعي اللبناني تغيّر، وتغيّر كثيراً.

لكن سمات التغيير في صفوف الأحزاب الشيوعيّة العربيّة، واليسار العربي بصورة عامّة، بادية للعيان. وليست هذه مناسبة لتحليل أسباب سقوط اليسار العربي لكنّ العمليّة كانت طويلة والحرب ضد اليسار له تاريخ طويل، وشاركت فيه أنظمة الخليج وحركة الإخوان المسلمين ودول الغرب (كان يمكن أن نضيف الليبراليّة العربيّة واليمين لكن هؤلاء - مثل جريدة «النهار» و«الحياة» في سنوات الحرب الباردة كانوا أدوات للغرب ولأنظمة الخليج). كل الوثائق المنشورة (وأرشيف فريد شهاب) تشير إلى حجم الاهتمام الأميركي بحركة اليسار في لبنان. كان هناك اختراقاً في القيادة الشيوعيّة وفي قيادة المنظمّات الفلسطينيّة. وقد اطلع الباحث الأميركي، نيت جورج، في أطروحته لنيل الدكتوراه في جامعة رايس، على وثيقة أفرج عنها حديثاً، وفيها يتباحث غسان تويني مع الدبلوماسيّين الأميركيّين في شؤون وزارته (وكان قد تبوّأ حديثاً منصب وزير التربية في «حكومة الشباب» في أوّل عهد سليمان فرنجيّة). ويتطوّع تويني (الذي كان بعض اليسار يتعاطف معه ويظنّ أنه تقدميّ بالمقارنة مع باقي أقرانه) لإبلاغ السفارة الأميركيّة أن من أوّل أعماله في وزارة التربية ستكون في التدخّل المباشر في الانتخابات الطلّابيّة في الجامعة اللبنانيّة لتعطيل فرص نجاح اليسار ولترجيح كفّة «حركة الوعي» اليمينيّة (كانت «حركة الوعي» تطرح نفسها على أنها وسط بين يمين ويسار لكنها كانت فعلاً يمين، وكان بول شاوول وعصام خليفة من أقطابها).

اليسار العربي كان شديد التبعيّة للاتحاد السوفياتي ولدول أوروبا الشرقيّة. كما أن بعض الأحزاب الشيوعيّة استفادت أيضاً من عطاءات دول عربيّة (مثل العراق وليبيا والجزائر واليمن وغيرها). وبسقوط تلك الأنظمة، انهار الكثير من هذه الأحزاب التي فشلت على مدى عقودٍ في بلورة فكر خاص بها. تراجع اعداد مجلّة «الطريق» وتفتّش عبثاً عن محاولة لكتابة مساهمة بين الحزب الشيوعي اللبناني وبين الإتحاد السوفياتي. لم يكن هناك قبولٌ لفكرة حدٍّ أدنى من الاستقلالية وكان ضباط في الـ«كي جي بي» يوجّهون الجبهة الديموقراطيّة (كان ياسر عرفات في حصار بيروت يسأل نايف حواتمه باستمرار: ماذا يقول صاحبك، في إشارة إلى ضابط الـ«كي جي بي» الراعي). وبعد سقوط الاتحاد السوفياتي تعثّرت كل الأحزاب الشيوعيّة وبات اسمها في حدّ ذاته عبئاً عليها - ينظر ها. وهيمنة الراسماليّة المتوحّشة والفكر النيوليبرالي احتاجت لأكذوبة أن لا يمين ولا يسار بعد اليوم. وطلع اليساريّون السابقون الذين أحاطوا برفيق الحريري، الذي استاجر أو ابتاع خدماتهم، بنظريّة أن لا يمين ولا يسار بعد وصول رفيق الحريري إلى الحكم لأنه مُحاط بيمينيّين ويساريّين ووسطيّين. كان على محمد كشلي (اليساري العتيق الذي اختاره الحريري لمساعدته في ضرب الحركة العمّالية) أن يصدر عن دار نشره، ابن خلدون، كتاب «رفيق الحريري ونهاية التاريخ». من الواضح أن الشيوعيّة الحالية مُشيّعة بالفكر الليبرالي وبمعايير أقرب إلى الليبراليّة الغربيّة منها إلى الشيوعيّة بأيٍّ من مدارسها. هي لم تتأثّر بـ«الماركسيّة الغربيّة»، مثلاً، والتي كان يمكن أن تغني التجربة الشيوعيّة العربيّة. الليبراليّة اثّرت على مسارها، لا «الماركسيّة الغربيّة». الشيوعيّة العربيّة الحديثة تحاول أن تبعد نفسها عن كل رموز الشيوعيّة. وأصبحت صورة غيفارا هي المفضّلة لأن الرأي العام لا يعرف أن الرجل الوسيم كان شيوعيّاً ثائراً. وتبدو معالم الليبراليّة في الشيوعيّة العربيّة المعاصرة في تبنّي أفكار غير جذريّة حول الاقتصاد وحول السياسيّة. هل هناك من طرح للتأميم من قبل الأحزاب الشيوعيّة العربيّة في العراق أو لبنان أو السودان أو في بلدٍ عربيٍّ؟ هل هناك طرح مضاد لدور السوق وتعزيز القطاع العام؟ هل هناك من طرح يرفض برامج صندوق النقد أو البنك الدولي؟ هذه هي السمة السائدة لليبراليّة العربيّة وهي تظهر في الخطاب الذي يُناصر القضايا التي تشغل ليبراليّي الغرب، حيث يصبح برنامج المنظمة الصهيونية الخبيثة، «هيومن رايتس ووتش»، وادبيّات دكاكين الأمم المتحدة والمجتمع المدني نبراساً لليساريّين العرب. والخطورة في التناسق بين الشيوعيّة العربيّة وبين الليبراليّة الغربيّة أن افتقار الأحزاب الشيوعيّة للتثقيف الماركسي للأعضاء سهّل من ارتحال الأحزاب نحو الليبراليّة. والهجوم العنيف من قبل اليمين الرجعي المتحالف مع أنظمة الخليج لا يرحم في نقده أيّ تحالف بين يسار وبين قوى مقاومة إسرائيل. والنخب الثقافيّة العربيّة إذا لم تكن مطلقة الانصياع لأنظمة الخليج فإنها باتت اليوم مطلقة الانصياع بعد حقبة التطبيع الإماراتي. الإسرائيلي حين أمعن النظام الإماراتي (لأكثر مرّة في تاريخه) في ابتياع الكتاب والأساسة والفنّانين لأنه لم يكن يتحمّل حملات نقد بعد إعلان تحالفه الصفيق مع العدوّ الإسرائيلي.

والسمة الثانية للشيوعيّة العربيّة الحالية هي في تخفيض مرتبة الولايات المتحدة كإمبرياليّة متوحّشة تفرض هيمنةً عالمية لم يسبقها إليها أي امبراطوريّة غابرة. وفي تلك المحاولة (كما ظهر من ذلك البيان قبل أشهر الذي وقّعه أكاديميّون غربيّون يساريّون وبعض العرب، ويحمل توجّهات المعارضة السوريّة المسلّحة وذعاتها) يشتدّ التحريض ضد روسيا والصين وإيران. لكن

> **ماتت «جمّول» ميتة طبيعيّة بسبب هجرة أهل الجنوب للأحزاب الشيوعيّة والبعثيّة... لكن بعض الحملات التي تخاض باسمها اليوم هدفها شيطنة المقاومة الحالية ضد إسرائيل**

المحاولة هذه مصطنعة لأنه لا يمكن مقارنة التدخّلات العسكريّة الروسيّة في سوريا أو الصينيّة (أين؟) أو الإيرانيّة في سوريا مع السطوة والهيمنة والحروب العسكريّة الأميركيّة حول العالم. لأميركا قوّات في أكثر من 150 قاعدة في العالم وهي تنشر أكثر من 200,000 جندي حول العالم ولديها 800 قاعدة عسكريّة في العالم، مقابل قاعدة عسكريّة روسيّة في طرطوس وقاعدة للصين في جيبوتي. إن المساواة بين القوة الجبارة القاهرة العالميّة وبين قوى لا يمكن أن تُقارن بقوّة أو جبروت أو هيمنة أو جشع أو حروب أميركا في العالم يُفيد الدعاية الأميركية، ومن المرجّح أنها تتفق عليها. إن الحكومة الأميركيّة (في عهد بايدن أكثر مما في عهد ترامب ربما لأن بايدن يمثّل إجماع القيادة المتنفّذة في الحزبين وقيادة الجهاز العسكري - الاستخباراتي ولوبي الحروب) باتت تضخّ المليارات في حملات تحريض ضد الصين وضد روسيا وضد أعداء إسرائيل، مثل إيران وقوى المقاومة في المنطقة. إن الاستثمار بالمليارات في أوّل عهد بايدن من أجل محاربة الصين ومنع اتساع نفوذها حول العالم (ولو باعمال الخير، الذي يُسمّى هنا بـ«القوة الناعمة»، لأن عنصر القوّة هو الطاغي في سياسة الامبراطوريّة). واعتناق اليسار العربي (عبر شخصيّات أو أفراد، لا يهم) للجهد الأميركي في تخويف العرب من الصين ومن روسيا لا يمكن تفسيره بالوقائع على الأرض. ما هو الخطر الذي تشكّله الصين على العرب مقارنةً بأميركا التي لم تتوقّف منذ عام 1991 عن شنّ الحروب، المباشرة او بالواسطة أو عبر جيوش عربيّة تدرّبها وتأمرها؟ الصين ليست صين ماو تسي تونغ، وهي تستثمر في الكثير من الشركات في إسرائيل (إلى درجة أن أميركا حذّرت إسرائيل أخيراً من اتساع الاستثمار الصيني في الكثير من القطاعات الاقتصادية التي تعتبرها أميركا حسّاسة، مثل الاتصالات والتكنولوجيا).

السمة الثالثة في اتجاهات الشيوعية العربيّة الحاليّة هو هذا الحرص على الابتعاد عن كل ما يتعلّق بحركات المقاومة. موقف الشيوعيّين العرب المتبقّين من المقاومة هو ليس موقف جدّي. ناخذ لبنان مثلاً. اختار الشيوعيّون (فرادى وناشطون في الحزب) الوقوع في فخ حركة 14 آذار. من المعروف أن حركة 14 آذار، في بداية حربها ضد 8 آذار زعمت أنها مع المقاومة (والحرب خافتةٌ في البداية، الذي يرجع لتلك الفترة يتذكر أن كل أقطاب 14 آذار وكتّاب السعودية، الإمارات كانوا يزعمون كذباً أنهم مع مقاومة إسرائيل). لكن بالتدرّج، طلعت 14 آذار بصيغةٍ أنها هي مع مقاومة إسرائيل لكن مع مقاومةٍ غير طائفيّة وهنا بدأ الترويج لأسطورة «جمّول». اي أن الشيوعيّين لم يخلقوا هالةً حول «جمّول» من تلقاء أنفسهم بل ورثوا المهمّة من 14 آذار. لا تجد لا في التسعينيّات ولا في الألفيّة جهوداً شيوعيّة في الكتابة عن «جمّول» وفي تعريف الناس عنها. اي أنّ الشيوعيين اليوم (أو الكثير منهم كي نتجنّب التعميم) منخرطون في حملة باسم «جمّول» لكن لشيطنة المقاومة الفعليّة الحاليّة ضد إسرائيل. ثم إن «جمّول» ماتت ميتةً طبيعيّة بسبب هجرة أهل الجنوب للأحزاب الشيوعيّة والبعثيّة. ليس هذا سرّاً. إسرائيل غزّت لبنان بعد أن أدركت أن أهل الجنوب هجروا المقاومة الفلسطينيّة والحركة الوطنيّة وكان ذلك موازياً مع صعود حركة «أمل» (الصعود الثاني لـ«أمل»). قصة أن «جمّول» كان تعدّ عمليّات مُزلزلة لكن حزب الله صدّها وأرجعها إلى بيروت هي أيضاً من نتاج جهاز دعاية 14 آذار (جهاز دعاية 14 آذار كان عملاً مشتركاً بين دول الخليج وإسرائيل ودول الغرب، والحملة كانت ناجحة إلى حدّ بعيد، وليس كل من يروّج لها تلقّى مالاً. هناك من صدّق تلك الأقاويل). ومترافقاً مع المبالغة في جدوى وفعالية «جمّول» (لم تكن يوماً على مستوى مقاومة حزب الله في حرب تموّز ولو أضفت إليها تجربة كلّ المقاومة الفلسطينيّة)، تمّ تذكّر شهداء شيوعيّين كانوا منسيّين وتمّ لصق المسؤولية عن مقتلهم لحزب الله (وتمّ التغاضي عن معارك طويلة بين حركة «أمل» والشيوعيّين في الجنوب).

الشيوعية العربية الحالية باتت واقعةً تحت تأثير شعار «لا إيران ولا أميركا»، كان إيران تؤثّر في حياة البشر حول العالم كما أميركا، أو كأن إيران تفرض بالقوّة إرادتها على سكّان الأرض كما تفعل أميركا. وخوفاً من اتهامه بالتحالف مع إيران، تبذل الشيوعية العربيّة المتبقيّة قصارى جهدها لإثبات أنها ليست مع إيران. كان مجرّد إعلان انطلاق الباخرة الإيرانيّة نحو لبنان كافياً كي يردّد شيوعيّون لبنانيّون مقولة أننا نرحّب بالباخرة الإيرانيّة بنفس القدر الذي نرحّب فيه بمبادرة السفارة الأميركيّة بجلب الغاز الأردني (ومبادرة السفارة الأميركيّة التي تفرض حصاراً على لبنان في أوجه متعدّدة لم تأتِ، وعلى عجالة غير جديّة، إلا لتقويض الفائدة السياسيّة التي جناها حسن نصرالله من إعلانه، والمبادرة الأميركيّة ليست مبادرة لأنها خطّة تتطلّب سنوات من التنفيذ وهي تصطدم بعقوبات «قيصر» الظالمة). هل إن الواجب أو الموقع الطبيعي للشيوعيين يكون في الحياد إزاء محور يضمّ إسرائيل ومحور مضاد يقود الجبهة الإقليميّة ضد إسرائيل؟ الجواب بالإيجاب عند الكثير من الشباب الشيوعي. والتغنّي بماضي «جمّول» يعني أن الشيوعيّين يؤيّدون مقاومةً غير موجودة (وكانت ضعيفة للغاية) فيما هم يعارضون مقاومة حاليّة جبّارة لأنها دينيّة الطابع وطائفيّة التركيب.

السمة الرابعة للشيوعية العربيّة هي غياب رؤية نقديّة عالميّة للسياسة الدوليّة. لم تعد الولايات المتحدة، كما كانت في الحرب الباردة، هدفاً للنقد والمعارضة والمقاومة. هناك محاولةٌ لتمييع السيطرة الأميركيّة العالميّة عبر النظر إلى توزيع القوة في العالم على أساس أننا نعيش في عالم متعدد الأقطاب. التدخّل الروسي في سوريا وبصرف النظر عن تقييمه خصوصاً أنه لم يُحدث أيّ ضرر بالمصالح الإسرائيليّة إذ إن العدوّ شنّ أكثر من مئتيّ غارةٍ على سوريا منذ أن تدخّل الجيش الروسي - لا يغيّر من طبيعة العلاقات الدوليّة. وأميركا تحاول أن تجعل من «مبادرة الحزام والطريق» مشروعاً مساوياً للحروب الأميركيّة في العالم. أميركا التي انتجت نظريّة القوة الناعمة مقابل القوّة الضلبة تريد أن تساوي بين قوة الصين الناعمة وبين قوتها الصلبة. لا، أميركا تريد من شعوب العالم النامي أن يتعاملوا مع «مبادرة الحزام والطريق» (وهي مشاريع إنشاء وتعمير وبناء وتطوير) على انها أكثر ضرراً على حياتنا من الحروب الأميركيّة المستمرّة. لكن من المفهوم أنّ إعلام النفط والغاز يساهم في الترويج للبروباغندا الأميركية بشتّى الطرق، لكن من غير المفهوم أن يساهم اليسار العربي فيها.

كانت تجربة «اليسار الديموقراطي» صغيرة في لبنان، لكن النموذج انتقل إلى اكثر من دولة عربيّة. «اليسار الديموقراطي» كما هو معروف هو تجمّع صغير ليساريّين سابقين تم احتواؤهم من قبل عتاة اليمين في عائلة الحريري. ووصل زعيمهم، الياس عطاالله - القائد المؤسّس لـ«جمّول» - إلى المجلس النيابي برافعة عائلة الحريري. وكل البلدان العربية باتت تحتوي نماذج لهذا اليسار اليميني، أي يمين يستعين بماضي يسار لاعضائه لخدمة مشروع اليمين لكن في أوساط تقدميّة يساريّة. اليسار العربي، والأحزاب الشيوعيّة العربيّة، مرشّحة للتحوّل إلى دكاكين من دكاكين المجتمع المدني. بول بريمر حبّذ مساهمة الحزب الشيوعي العراقي لأنه كان أكثر مطواعية من أحزاب اليمين الطائفي في العراق، و«اليسار الديمقراطي» استحق مقعداً نيابياً لأنه كان لا يقلّ طواعية لعائلة الحريري من أتباعها المباشرين. والحزب الشيوعي السوداني يصدر اعتراضات خجولة عن التطبيع الذي فُرض على السودان من قبل إسرائيل وأميركا والسعودية والإمارات.

ماتت الأحزاب الشيوعية العربية. حتى في الساحة الفلسطينية، بقايا تلك المنظمات (مثل الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية) ابتعدت عن عقيدتها المؤسّسة. هناك اليوم أحزاب كانت شيوعية وهي تحاول تلمّس مسارها في السنين المقبلة مصرّة على الابتعاد عن الماركسيّة كأن الماركسيّة هي التي وصمت تجربة الشيوعية العربيّة وليس قبول قرار التقسيم أو قرار معاداة «الجمهورية العربيّة المتحدة» أو دخول الحزب الشيوعي العراقي في مجلس بريمر أو تقاعس الحزب الشيوعي اللبناني عن التصدّي للتحضير الكتائبي للحرب الأهليّة. هناك أفراد وكتاب شيوعيّون لكن الجيل الجديد يخاف من وصمة الشيوعية كما لو أن الحرب الباردة لا تزال مستعرة. والسطوة الإقليميّة لدول الخليج تعزّز من الخوف الشبابي من الشيوعية - في أصالتها وليس في نسقها «اليساري الديمقراطي». لا تمانع دول الخليج أبداً استخدام يساريّين سابقين في إعلامها: وإعلام المخابرات السعودية والإماراتية مليء بلبنانيّين وفلسطينيّين من خلفيّات شيوعية سابقة. حتى وليد قدّورة، الذي ثبتت عمالته لـ«المكتب الثاني» اللبناني أثناء عضويته في اللجنة المركزية للجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين، وجد عملاً في إعلام النظام الإماراتي بعد تهريبه من لبنان خلال حصار بيروت (كان التهريب من قبل قريب له وكان مُكلّفاً بإعدامه). ليست هذه مرثيّة للأحزاب الشيوعيّة العربيّة لكنها اعتراف بواقع اضمحلال الشيوعيّة العربية في عصر السيطرة السعوديّة - الإماراتيّة على مقدّرات العالم العربي وعلى ثقافته. إن السيطرة الأميركيّة العالمية والتغلغل الإسرائيلي في العالم العربي، وتفاقم أزمة الراسمالية العالميّة (في دولهم وفي دولنا) يجب أن تحفّز على إنعاش اليسار لا على القضاء عليه انتحاراً من قبل الأحزاب الشيوعية نفسها.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

ملصق صممه الفنان الراحل بوك غيراغوسيان لـ«المجلس الثقافي للبنان الجنوبي» (1984) تحيّة لـ«جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» (جمّول) - مجموعة زينة معاصري (ملامح النزاع)

من مصر إلى السودان فـ... لبنان

سعد الله مزرعاني *

في ثوابت السياسة الخارجية الأميركية استخدام الترغيب والترهيب أداةً لفرض السياسات أو للتخلي عنها. في الشرق الأوسط، كان للمشروع الصهيوني، منذ أصبحت واشنطن، وليست لندن، مرجعيته (بدور مميّز لفرع «الوكالة اليهودية» في الولايات المتحدة الأميركية)، حصة الأسد من فوائد هذه الثوابت. تبرز خصوصاً، في هذا الصدد، حالة مصر في ظل حكم السادات قبل حوالى 45 سنة، وحالة تجربة حكم عسكر السودان الحاليين، الذين تسلّقوا ثورة الشعب السوداني على حكم الديكتاتور عمر البشير، للاستيلاء على السلطة في الخرطوم. القاسم المشترك بين الحالتين المذكورتين تبنّي سلطتيهما نهج سياسة الصلح والتطبيع مع الكيان الصهيوني مقابل وعد بمعالجة الفقر والجوع في مصر والسودان بدعم من واشنطن وحلفائها الدوليين والإقليميين.

لا يجادل أحد بأن الوعود لمصر كانت كاذبة (وكذلك ستكون بالنسبة إلى السودان). النتيجة أتت معاكسة تماماً للوعود. من جهة، تمّ حرمان عمال مصر وفلاحيها من مكتسبات الثورة الناصرية وإصلاحاتها. من جهة ثانية، تمّ رمي هؤلاء، ومعهم كل فقراء البلد، في أتون أزمة طاحنة ما لبث ملايين المتضررين منها أن تحركوا ضد السادات فيما سمي «انتفاضة الخبز والجوع» (يومَي 18 و19 كانون الثاني 1977). ما حفّز، إلى سواه من الإجراءات، أوسع حركة معارضة سياسية وصولاً إلى التخلص من الرئيس السادات في «حادثة المنصة» الشهيرة عام 1981. لقد جنى الشعب المصري من الوعود الأميركية الفقر والجوع. دخل الآلاف من نخبه وأحراره السجون. الصهاينة كانوا الرابح الأكبر من خلال «معاهدة كامب دايفيد». كتب، بهذا الصدد الشاعر الشعبي المبدع أحمد فؤاد نجم وغنّى الشيخ الثائر إمام عيسى: «يا خوفي من يوم النصر، ترجع سينا وتروح مصر» ... ولم تعد مصر إلى دورها التحرري العربي والأفريقي حتى اليوم !!!

تأجيج الأزمات واستغلالها، باتا البديل، بعد فشل حروب بوش الابن و«المحافظين الجدد» «الاستباقية» (وآخر نماذجها الانسحاب الذليل من أفغانستان)، ما عزّز لدى الإدارات الأميركية وخصوصاً إدارة ترامب، الانتقال إلى الحروب الاقتصادية بوسائل الحصار والعقوبات من جهة، وإثارة التناقضات والصراعات داخل البلدان المستهدفة وفي ما بينها واستغلالها من جهة ثانية.

خضع لبنان لاختبار جديد منذ الفشل الذريع للعدوان الصهيوني عليه في تموز 2006. وهو عدوان بربري تدميري، طلبته ورعته واشنطن، ونفّذته الحكومة الصهيونية قبل 15 سنة. هشاشة الوضع اللبناني، في سوء صيغة حكمه وفي فساد ونهب وتبعية حكامه، قدّمت الشروط الموضوعية وأغرت بتراكم عوامل أزمة اقتصادية تصلح أساساً لتقويض هذا الوضع وإخضاعه لشروط واشنطن. وهذه الشروط هي، تكراراً، حيال المنطقة وحيال لبنان الذي تفرّد بمقاومة العدو الصهيوني وبهزيمة احتلاله وإفشال أطماعه، شروط الدولة العبرية نفسها!

في كل تحليل للأزمة اللبنانية، لا بد من الانطلاق من العامل الاقتصادي، في أسبابها والمعالجات. تقدّمت هذه الأزمة على ما عداها، وباتت في مقدمة العناصر المتفجّرة ضغطاً على حياة واستقرار ولقمة عيش الأكثرية الساحقة من اللبنانيين. وهي أزمة بنيوية اقتصادية دون أدنى شك، لكنّ العامل السياسي ما لبث أن دخل بقوة على الخط من قبل لاعبين داخليين وخارجيين، لتأجيج الأزمة ولاستغلالها خدمة لأهداف يصبّ معظمها، كما أشرنا، في خدمة العدو الصهيوني. يستمر هذا الأمر في ظل سلطة الرئيس الأميركي الحالي بايدن بعد أن كان قد بلغ ذروته في ظل إدارة الرئيس السابق وتبلور إلى مشروع متكامل لتصفية قضية وحقوق شعب فلسطين حمل اسم «صفقة القرن».

بإشراف وقح ومباشر من قبل الإدارة الأميركية، عبر موفديها ودبلوماسييها، وبواسطة حلفائها الغربيين والإقليميين وأدواتها في صفوف الحكم اللبناني (سلطة ومعارضة)، قادت وتقود واشنطن (بدعم من شركاء خليجيين)، عملية مزدوجة: دفع الأزمة إلى مزيد من التفاقم من حيث الاستعصاء والإضرار من جهة، وفرض شروط إذعانية للخروج منها من جهة ثانية. هذه الشروط ليست محضاً اقتصادية، وإن جرى التذرّع، إعلامياً، بضرورة «الإصلاحات» التي شكّلت وصفات دائمة لصندوق النقد الدولي الذي ينفذ، بشكل غير مباشر، توجهات وسياسات الولايات المتحدة بوصفها قوة رأس المال، الحاكم والمهيمن، الأساسية في العالم. إن «الإصلاحات» المزعومة هي إلغاء ما يسمى الإجراءات الرسمية التي تحمل صفة الرعاية للفئات الشعبية المهمّشة والفقيرة عموماً، في حقول الصحة والمواد الغذائية الأساسية والتعليم وصولاً، حسب كل بلد، إلى التربية وإلى الضرائب وأبواب أخرى من الدعم في الحقول الزراعية والصناعية...

شعار «الإصلاحات» ذو الطابع الاقتصادي هذا، رغم رواجه ووصفاته الجاهزة في التجارب المماثلة، إلا أنه ما لبث أن أخلى المكان لشعار سياسي مباشر، هو «الحياد» حيال الصراع مع العدو والنزاعات المتعلقة به في المنطقة. تزامن معه، وبشكل متصاعد، رفع شعار نزع سلاح المقاومة وتحميلها مسؤولية الأزمة بشكل كامل! في الظروف اللبنانية، ويسبب فساد السلطة ورعونتها وفئويتها، وكذلك بسبب غياب معارضة وطنية وازنة وفاعلة، لم تكلف واشنطن نفسها، حتى مجرد عناء تقديم وعود. هي اتجهت مباشرة إلى محاولة إملاء الشروط ونزع الشرعية عن السلطة، والتعامل المباشر مع مؤسسات رسمية أمنية دون المرور بالسلطة السياسية، وفتح أوتوسترادات على منظمات من «المجتمع المدني» تناسلت كالفطر، ودُعمت وتُدعم بسخاء للعب دور سياسي مباشر في تنفيذ الخطة الأميركية وفي رفع شعاراتها ومطالبها وخصوصاً منها المطالب الإسرائيلية.

إن إدراك هذه الحقيقة هو المدخل والممرّ الإجباري لاعتماد مواقف سياسية مناهضة لها ولإعداد صيغ عمل وطني على هذا الأساس: في البرامج والأولويات والتحالفات.

* كاتب وسياسي لبناني

على الغلاف

«لا انسحاب قبل الاوان من افغانستان». ظلّ الرئيس الاميركي، جو بايدن، يردّد ما سبق ذكره، إلى ان قرّر، في نيسان الماضي، إنهاء مهمّة الولايات المتحدة في هذا البلد، بعدما تحقّق لها حدّ تنظيم «القاعدة» وزوال خطره المحْدق، الهدف الرئيس الذي شُنّت تحت عنوانه الحرب الكونية على افغانستان. بطبيعة الحال، لم يكن بايدن ليتخيّل، في اسوأ السيناريوات، نكسةً كتلك التي وصمت رئاسته. وباتت تُهدّد طموحات من جاء بوعود «تغيير» عريضة، إلى ان فوجئ بتهاوي دفاعاته امام اوّل استحقاق جدّي تواجهه إدارته: بدء الانسحاب من المنطقة. انسحابٌ اعاد معه، كما كان متوقّعاً، حركة «طالبان» إلى السلطة، وتنظيم «داعش» إلى الظهور من جديد، على ابواب مطار كابول، لتتعقّد بذلك الاستحقاقات التي تنتظر السلطات الجديدة، والتي يبدو انها ستستثمر ابعاث «ولاية خراسان» في معركة حيازة الشرعية الدولية لـ «مكافحة الإرهاب» الذي يتهدّد دول الإقليم، والعالم

نكسة بايدن

الخروج من أفغانستان... ومن البيت الأبيض؟

أكثر ما كان يخشاه الرئيس الأميركي جو بايدن، هو ما حصل بالفعل، بعدما شرع في تنفيذ قراره بإنهاء أطول حرب خاضتها الولايات المتحدة، كما قال مراراً وتكراراً، مدفوعاً بتصميمه على عدم التضحية بجندي أميركي آخر، اتّخذت عمليات الإجلاء التي بدأت قبل أيام من أفغانستان مساراً دموياً، مودية بحياة 13 جندياً أميركياً، إلى جانب عشرات المدنيين الأفغان، في ما يمثّل أوّل خسائر أميركية هناك منذ 18 شهراً، والأكثر دموية للجيش

> يشتبه مراقبون كثر هجوم كابول الأخير بهجوم بنغازي عام 2012

الأميركي منذ عام 2011. تعقيباً على ذلك، ما كان من بايدن إلّا أن تعهّد، في تصريحات أطلقها من البيت الأبيض مساء أول من أمس، «بملاحقة» الإرهابيين الذين زعموا مسؤوليتهم عن التفجيرات في مطار كابول، معلناً أن الإجلاء المحموم والخطير لمواطني الولايات المتحدة وحلفائها من أفغانستان، سيستمرّ لعدة أيام أخرى. هكذا، بات من الواضح أن الانسحاب يتحوّل، مع الوقت إلى سيناريو كارثي بالنسبة إلى بايدن الذي يواجه أخطر أزمة في عهده، فيما يبدو مقيّد اليدين أمام وضعٍ لم يتوقّعه أبداً.

فبعد ساعات على الهجوم الانتحاري المزدوج قرب مطار كابول، اعترف أمام الكاميرات بأنه «يوم صعب»، محاولاً دفع الاتهامات الموجّهة إليه بلهجة حازمة خاطب بها المسؤولين عن الهجوم، قائلاً: «سنطاردكم وسنجعلكم تدفعون الثمن». وجدّد بايدن التزامه إنجاز انسحاب القوات الأميركية من أفغانستان في 31 آب، على الرغم من الأصوات التي باتت تطالبه - وبعضها من داخل حزبه - بالبقاء إلى ما بعد هذه المهلة النهائية، من أجل استكمال عمليات الإجلاء. وقال إنه «خلال الأيام المقبلة، بين اليوم و31 آب»، هناك متّسع من الوقت لإجلاء المواطنين الأميركيين، وأكبر عدد ممكن من طالبي اللجوء الأفغان، الذين تمّت الموافقة على طلباتهم. وأضاف: «نظراً إلى أنه من الممكن جداً أن يقع هجوم جديد، فقد خلص الجيش إلى أن هذا ما يتعيّن علينا فعله، واعتقد أنهم (أي العسكريين) على حقّ». وفي هذا السياق، أفاد قائد عسكري أميركي رفيع المستوى بأن القوات الأميركية في كابول تستعدّ لمزيد من هجمات تنظيم «داعش»، التي قد تشمل سيارات مفخّخة أو إطلاق صواريخ في المطار، حتى مع انتهاء جهود الإجلاء. وقال الجنرال كينيث ماكنزي، قائد القيادة المركزية الأميركية لتصحافيين: «نعتقد أن هناك رغبة لديهم في مواصلة تلك الهجمات، ونتوقّع أن تستمرّ تلك الهجمات». وأشار إلى أن القوات الأميركية تتبادل المعلومات مع مقاتلي «طالبان»، الذين يحرسون نقاط تفتيش خارج المطار. وأضاف: «سنواصل التنسيق معهم وهم يمضون قدماً».

يواجه بايدن انتقادات من كلّ حدبٍ وصوب بسبب إدارته للانسحاب (أ ف ب)

في غضون ذلك، يواجه بايدن انتقادات من كلّ حدبٍ وصوب لإدارته الفاشلة للانسحاب، ولعدم تنظيمه في وقت مبكر عمليات الإجلاء اللازمة. وفي هذا الإطار، شكّك بعض كبار الديمقراطيين في نجاعة اعتماد «البنتاغون» على «طالبان» لحماية المطار الدولي الذي وقعت فيه التفجيرات. وفي حين طالب بعض الجمهوريين بايدن بالاستقالة، ركّز معظمهم على الدعوة إلى تمديد الجدول الزمني للانسحاب، المقرّر إنهاؤه يوم الثلاثاء المقبل، للسماح بهجوم مضادّ قوي ضدّ «داعش». كذلك، دعا بعض الجمهوريين إلى جلسة طارئة للكونغرس، الذي يعيش إجازته الصيفية الأخيرة، ولن يعود حتى منتصف أيلول. وجاء النقد الديمقراطي الأكثر صخباً من السناتور روبرت مينينديز، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، الذي تساءل عمّا إذا كان حرّاس «طالبان» قد فشلوا في السماح لمفجّري «داعش» بالاقتراب من مطار كابول. وقال مينينديز، في بيان، قبل الإعلان رسمياً عن التفاصيل الكاملة لعدد القتلى: «بينما ننتظر وصول مزيد من التفاصيل، هناك شيء واحد واضح: لا يمكننا الوثوق بطالبان للاهتمام بأمن الأميركيين». من جهتها، استخدمت رئيسة مجلس النواب نانسي بيلوسي، بيانها لتحذير المشرّعين من زيارة غير رسمية أخرى لكابول، في أعقاب زيارة سرّية لاثنين من أعضاء الكونغرس، في وقت سابق من هذا الأسبوع، قبل 48 ساعة تقريباً من التفجيرات التي هزّت العاصمة. وأشارت بيلوسي إلى أنها طلبت استمرار عقد جلسات إحاطة للمشرّعين. وبعد إحاطة هاتفية مع وزير الدفاع لويد أوستن، أخبرت المشرّعين أنهم سيتلقّون إحاطات متتابعة من مسؤولي الإدارة أيضاً. وقالت، في بيان: «بينما نواصل هذه العملية، يظلّ الكونغرس يشعر بقلق عميق بشأن الوضع الأمني والإنساني في أفغانستان». وأضافت: «بينما نعمل مع إدارة بايدن لتحقيق الاستقرار في الوضع، يجب أن يظلّ الكونغرس على اطّلاع دائم».

ويشبّه مراقبون كثر هجوم كابول الأخير بهجوم بنغازي عام 2012 الذي أودى بحياة السفير الأميركي لدى ليبيا، وأفسد صورة إدارة باراك أوباما. ورات صحيفة «بوليتيكو» أن هذه «كانت أكثر اللحظات تدميراً في رئاسة بايدن الفتية». كذلك، أشارت مجلّة «نيوزويك» إلى أن بايدن يواجه ردّ فعل عنيفاً على غرار ما أعقب هجوم بنغازي، بسبب انسحاب فاشل. واعتبرت أن «انهيار مدينة سايغون في عام 1975 على يد جيراld فورد، وتحطّم طائرة ديزرت وان خارج طهران عام 1979، والتي دمّرت رئاسة جيمي كارتر، وهجمات بنغازي في ليبيا التي قتلت السفير الأميركي وثلاثة أميركيين آخرين في عام 2012، هناك أصداء لها جميعاً في نهاية لعبة بايدن الكارثية في أفغانستان». وأضافت أن «التداعيات السياسية لبنغازي هي نموذج مصغّر لنوع ردّ الفعل العنيف الذي سيواجهه بايدن»، مُعربةً عن اعتقادها بأنه «إذا استعاد الجمهوريون مجلس النواب العام المقبل، فمن المؤكّد أنهم سيدفنون إدارة بايدن في تحقيقات وجلسات الاستماع لمدّة عامين».

(الأخبار)

عودة دراماتيكية لـ«داعش»: «طالبان» تستثمر في معركة «الشرعية»

لم يكن ما جرى في محيط مطار كابول، أوّل من أمس، خارج سياق التوقّعات؛ فعلى مدى الأيام القليلة الماضية، توالت التحذيرات من جانب وكالات الاستخبارات العالمية، من خطر وشيك يتهدّد عمليّة جلاء قوات الاحتلال، ومَن تسنّى لهم اللحاق بها. ولا شكّ في أن الحادثة التي أعادت معها

> جاء انتصار «طالبان» على «ولاية خراسان» بمساعدة دول أخرى، من بينها الولايات المتحدة

خلط الأوراق في أفغانستان، بعد أقلّ من أسبوعين على عودة حركة «طالبان» إلى الحُكم في موازاة الانسحاب الأميركي والانهيار المتسارع للمؤسّسات الأفغانية، وعلى رأسها الجيش، تشكّل منعطفاً بالغ الخطورة أمام سلطات كابول الجديدة، المُشغولة راهناً بتثبيت مفاصل حُكمها، ووضع أُسس نظام للحقبة الجديدة، سيكون، كما تدّعي، مختلفاً عن ذاك الذي ساد إبّان الغزو الأميركي لأفغانستان عام 2001.

بهذا المعنى، أُضيف تحدٍّ آخر إلى التحديات الجمّة التي تجابه سلطات «طالبان»، والتي تُشكّل المعارضة المسلّحة في وادي بانشير جزءاً منها، فضلاً عن مصاعب سياسية واقتصادية ومعيشية، لن يكون في مستطاعها مواجهتها جميعاً ما لم تنزلْ اعترافاً دولياً بشرعيّتها. ومع أن عودة تنظيم «داعش» إلى نشاطه كانت مبكرة جداً، توقّع مراقبون، ومن بينهم دانيال بايمان، الخبير الأميركي في شؤون الشرق الأوسط والإرهاب، أن تعيد المجموعات الإرهابية في هذا البلد تنظيم صفوفها بعد الانسحاب الأميركي. ورأى، في مقالة له نُشرت في مجلة «فورين أفيرز» الأميركية، أن «إجراءات مكافحة الإرهاب ستصبح أصعب بعد انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان»، مستبعداً، في الوقت ذاته، أن تعود البلاد ملاذاً للتنظيمات الجهادية العالمية، وذلك لأسباب عدّة، لعلّ أبرزها فقْد تنظيم «القاعدة» الكثير من قوّته، والعداوة الكبيرة بين الحركة و«داعش»، والذي يهدّد تمدُّده في عموم البلاد، دول جوار أفغانستان، من إيران غرباً إلى دول آسيا الوسطى شمالاً، وما يعنيه ذلك من مخاطر مباشرة في منطقة النفوذ الروسي. ولكن ما يورده بايمان في مقالته من أن «الولايات المتحدة، وحتّى بعد انسحابها من أفغانستان، لن تعتمد على طالبان عندما يتعلّق الأمر بحماية نفسها من التهديدات الإرهابية، لكونها تمتلك خيارات أخرى لمراقبة المشهد الجهادي في هذا البلد، وعند الحاجة محاربته أيضاً، وخصوصاً أن الجيش الأميركي بحث إمكانية استخدام قواعده الجويّة خارج أفغانستان لتنفيذ هجمات... إذا اقتضت الضرورة ذلك»، يبدو، في ظلّ التطورات الأخيرة، مجافياً للواقع، إذ لم تمنع التحذيرات حدوثَ «الهجوم الوشيك»، في مكان يكتظّ بآلاف الأفراد العسكريين الأميركيين، على رغم غياب عنصر المفاجأة، وفق ما يؤكد المسؤولون الأميركيون.

يدور السؤال راهناً حول ما إذا كانت الضربة الكبيرة التي تلقّتها أميركا، وهي تغادر أفغانستان، ستُعجّل من قرار رئيسها المنكوب، جو بايدن، الاعتراف بنظام «طالبان»، التي كان لظهور تنظيم «الدولة الإسلامية - ولاية خراسان»، الفرع الأفغاني

أضيف تحدٍّ آخر إلى التحديات الجمّة التي تجابه سلطات «طالبان» (أ ف ب)

لـ«داعش»، في أفغانستان عام 2015، ومحاربتها له، دور إيجابي في تنامي دورها على الساحة الدولية، وبدء دول عدّة في التقرّب منها. تفيد التقارير الإعلامية، في هذا الإطار، بأن انتصار «طالبان» على «ولاية خراسان» في معركة دمج أجزاء من أفغانستان في «دولة الخلافة»، جاء بمساعدة دول أخرى، من بينها الولايات المتحدة التي كانت تعرف أنه لا يمكنها الاعتماد على جيش دَرَبته طوال عشرين عاماً. لهذا، يمكن عودة «داعش»، في هذا التوقيت الحسّاس، أن تكون أحد أسباب تلقّي «طالبان» دعماً من جانب دول عدّة، مثل أميركا، تخشى تمدّد التنظيم، شأنها شأن روسيا والصين وإيران، التي لها إمّا حدود مع أفغانستان، أو مناطق نفوذ في الجوار الأفغاني، وهو ما يجعلها تبقي على نشاطها الدبلوماسي قائماً، وخصوصاً بعد انسحاب الولايات المتحدة.

منذ عام 2015، ظهرت خلافة «داعش» في أفغانستان داخل ولايتين، هما: تنجرهار الشرقية وجوزجان الشمالية. لكن نشاط التنظيم لم يلقَ ترحيباً من جانب «طالبان»، التي اعتبرت «ولاية خراسان» منذ البداية، عدوّاً يجب محاربته. وفي مقابلات أجريت معه قبل مقتله، قال الخراساني إن «داعش كان لديه أهدافاً عالمية، بينما سعت طالبان إلى استعادة السيطرة على أفغانستان من دون أن تُبدي استعدادها لمساعدة الجماعات الإسلامية خارج البلاد... قيادة داعش مستقلّة، وأهداف داعش مستقلّة. لديها أجندة عالمية، ولذلك عندما يُسائل الناس من الأوْلى في تمثيل الإسلام والمجتمع الإسلامي بأسره، فنحن بالطبع أكثر تميُّزاً». بعيد ظهور «ولاية خراسان»، بدأت بعض الدول، وفق صحيفة «وول ستريت جورنال»، تفكّر في احتمال أن تكون «طالبان» «رادعاً محتملاً» لطموحات التنظيم. ونقلت الصحيفة عن مسؤولين في الحكومة الأفغانية المنحلّة قولهم إن «بروز داعش كعدوّ دولي جديد أدّى إلى تعزيز دور الحركة وتناميه على الساحتَين الدولية والدبلوماسية، بعدما سعت، على مدى سنوات، إلى إزالة وصمة الإرهاب عنها».

(الأخبار)

كذّاب الإمبراطوريات عبر التاريخ، تنسحب الولايات المتحدة من أفغانستان بعد نصف قرن تقريباً من التدخّل السافر فيها، وعقدَين من الاحتلال المباشر لها، تاركةً إياها أرضاً يباباً تسودها فوضى عارمة، متسبّبةً بموجة هجرة جديدة قد تتحوّل إلى «تسونامي» لاجئين يجتاح أوروبا خلال الأسابيع القليلة المقبلة، حيث يُتوقّع أن يصل عددهم، وفق تقديرات وزير الخارجية الألماني إلى خمسة ملايين شخص

الهجرة من الأرض اليباب: أوروبا تنتظر الـ«تسونامي»

لندن - **سعيد محمّد**

تسود أجواء من القلق والترقّب أروقة الحكومات الأوروبية، بعد مشاهد محاولات الفرار اليائسة لآلاف المواطنين الأفغان من بلادهم، على متن الطائرات الأميركية المغادرة من مطار كابول. وعلى رغم أن الحليف الأميركي فرض على العواصم الأوروبية استيعاب حصص من آلاف المتعاملين مع قوات الاحتلال في أفغانستان - 20 ألفاً في بريطانيا وحدها -، إلّا أن الجميع يعلم، الآن، أن تركة الإمبراطورية في تلك البلاد ستدفع مئات الآلاف - وربّما الملايين - إلى الهجرة نحو القارّة الأوروبية تحديداً، سعياً لحياة أفضل. ولن يكون هؤلاء، بالضرورة، من المتعاونين مع قوات الاحتلال الأميركي، بل ستشمل صفوفهم مجرمين ولاجئين سابقين أعادتهم دول أوروبا سابقاً إلى بلادهم، ومهاجرين اقتصاديين وفارّين من حُكم «طالبان»، إضافة إلى مهاجرين من بلاد أخرى تعرّضت للغزو الأميركي، كالعراقيين والسوريين، أو أفارقة سيحاولون استغلال حالة التفلّت الأمني الذي ستتسبّب به الموجة الجديدة، للتسرّب نحو دول الشمال الأكثر استقراراً. ويُنقل عن وزير الداخلية الألماني هورست سيهوفر شعوره بالتشاؤم والقلق من الآتي، وتوقّعه أن يحاول خمسة ملايين شخص مغادرة أفغانستان نحو القارّة الأوروبية. وإذا تحقّقت مخاوف الوزير، فإن هذه الموجة الجديدة من اللاجئين ستجعل أزمة الهجرة السابقة، في عام 2015 - عندما شقّ أكثر من مليون شخص غالبيتهم من السوريين طريقهم إلى أوروبا -، وكأنها مجرّد بروفة باهتة بالمقارنة.

وكانت ألمانيا مقصداً لـ150 ألف أفغاني خلال السنوات الأخيرة، كما تحوّلت مسألة الهجرة الأفغانية إلى إحدى قضايا الجدل السياسي في أجواء الانتخابات العامّة التي ستُجرى في 26 أيلول المقبل. لكن التوجّه العام لدى التيارات الغالبة يقضي بمنع تكرار أزمة عام 2015، وفي أفضل الظروف استيعاب عدد محدود جداً من طالبي الهجرة الأفغان هذه المرّة. وتعاني دول أعضاء في الاتحاد الأوروبي، غير ألمانيا، من تدفّق اللاجئين الأفغان، الذين قاربت أعدادهم 600 ألف في السنوات الخمس الأخيرة، والذين شكّلوا ثاني أكبر كتلة من طالبي اللجوء، بعد السوريين. والأغلبية الساحقة من هؤلاء، شبّان ذكور لا يجيدون اللغات الأوروبية، وقد تورّط الكثير منهم في أعمال عنف وسرقة وتهريب مخدّرات واعتداءات جنسية ضدّ النساء والفتيات الأوروبيّات. وعلى الرغم من استفادة عدد من الاقتصادات الأوروبية من بعضهم، كعمالة رخيصة، إلّا أن تزايد أعدادهم سينعكس سلباً على التوازنات الاجتماعية، ويهدّد بحدوث هزّات وقلاقل أمنية، وتصاعد في الاستقطاب الشقافي بين المجموعات السكّانية المتباينة. وبتوجيهات من الجانب الأميركي، يصل بشكل يومي آلاف المهاجرين الأفغان إلى مطارات في أنحاء أوروبا، بما في ذلك بريطانيا وبلجيكا وكرواتيا والدنمارك وإستونيا وفنلندا وألمجر وإيرلندا وليتوانيا ولوكسمبورغ والنرويج وبولندا والبرتغال وصربيا والسويد وغيرها. كذلك، وافق كلّ من إسبانيا وألبانيا ومقدونيا وكوسوفو على الإيواء المؤقّت لمئات الأفغان الذين عملوا مع قوات «حلف شمال الأطلسي»، ويُخشى على حياتهم الآن مع سيطرة حركة «طالبان» على السلطة في كابول.

في هذه الأثناء، يبدو أن خلافات تنشأ مجدّداً داخل الاتحاد الأوروبي، كما في عام 2015، وذلك في شأن منهجية التعاطي مع هذا «التسونامي» المتوقّع من اللاجئين. إذ سارع العديد من القادة الأوروبيين إلى معارضة توجّهات بروكسل (مقرّ الاتحاد) المعلَنة بشأن «مسؤولية أخلاقية» على الدول الأعضاء تحمُّلها تجاه مَن سمّتهم رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين «الفارّين من حكم طالبان». وأشار بعضهم إلى عدم قدرة بلادهم على استيعاب المزيد من اللاجئين، كما لمّحوا إلى ضرورة أن تقوم الولايات المتحدة والدول الإسلامية بتحمّل العبء، في إشارة ضمنية إلى الدور الأميركي - السعودي في ضرب الاستقرار في أفغانستان، خلال الأعوام الخمسين الماضية. وفي هذا الإطار، جاء الصوت الأعلى من المستشار النمساوي سيباستيان كورتس الذي تعهّد بأن بلاده «لن تقبل بعد الآن المزيد من اللاجئين الأفغان»، لافتاً إلى أن النمسا قدّمت بالفعل «مساهمة كبيرة وبشكل غير متناسب» في استقبال لاجئين أفغان تجاوز عددهم الأربعين ألفاً، خلال السنوات الخمس الأخيرة. ونُقل عنه قوله للصحافيين: «إنني أعارض، وبشدّة، استقبالنا الآن للمزيد من الناس، الذين لا يمكن دمجهم في المجتمع النمساوي»، مؤكّداً أن «هذا لن يحدث مطلقاً في عهدي». وأصدر وزير الداخلية النمساوي كارل نيهامر بياناً مشتركاً مع وزير الخارجية الكسندر شالنبرغ دعيا فيه إلى «ترحيل الأفغان المقيمين بشكل غير قانوني في النمسا إلى دول إسلامية، بعدما أصبح من المتعذّر ترحيلهم إلى أفغانستان، وفقاً للقيود التي تفرضها علينا الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان». ورأيا أن «التعاطي مع قضية اللاجئين، يجب أن يكون من منظور أمني لا إنساني»، إذ إن وقف عمليّات الترحيل سيكون كافياً وحده لجعل أوروبا قطع جذب للهجرة غير المشروعة، وبالتالي الجريمة المنظّمة وما يترتّب عليها من موبقات. وتأتي تلك التصريحات الصارمة من الساسة في فيينا، على خلفية جريمة اغتصاب وقتْل اتُّهم أربعة من اللاجئين الأفغان بارتكابها بحقّ فتاة نمساوية في الـ13 من العمر، وتسبّبت بترويع المجتمع النمساوي بأسره. وبحسب استطلاع للرأي، فإن حوالى 80 في المئة من النمساويين يؤيّدون إجراءات حكومية صارمة في التعامل مع الهجرة الأفغانية.

> يبدو أن خلافات ستنشأ داخل الاتحاد الأوروبي بشأن منهجية التعاطي مع «تسونامي» اللاجئين

وفي باريس، دعا الرئيس إيمانويل ماكرون إلى «استجابة أوروبية منسّقة لمنع الهجرة الجماعية من أفغانستان»، بينما أعلن رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون في بيان أدلى به أمام البرلمان، عن خطّة لاستقبال 20 ألف مهاجر أفغاني من المتعاملين مع قوات «حلف شمال الأطلسي»، لكنه أكد أن حكومته «لن تسمح للناس بالمجيء من أفغانستان إلى بريطانيا بطريقة عشوائية». من جهتها، سارعت الدول الواقعة على بوّابة أوروبا الجنوبية والشرقية إلى التحذير من أنها لن تتسامح مع الهجرة الأفغانية المتوقّعة.

وقال وزير الهجرة اليوناني نوتيس ميتاراشي إن بلاده «لن تكون بوّابة للعبور نحو أوروبا من قِبَل المهاجرين الأفغان (غير السّوريين)». كذلك، حذّر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان من أن موجة جديدة من الهجرة «ستصبح حتمية، إذا فشلت أفغانستان وإيران في تأمين حدودهما»، مؤكّداً «للاصدقاء الأوروبيين أنه ليس على تركيا أيّ مسؤولية أو التزام بأن تكون مستودعاً للاجئين إلى أوروبا». أمّا رئيس الوزراء الإيطالي ماريو دراغي فقد دعا مجموعة الاقتصادات العشرين الكبرى إلى عقد قمّة للتداول بشأن الوضع في أفغانستان، مطالباً بتولّي دول جوار أفغانستان - روسيا والصين والسعودية وتركيا ودول إسلامية تتمتّع بعلاقات وثيقة بنظام كابول الجديد - مسؤولياتها، وعدم ترك دول «الناتو» تدفع فاتورة الهجرة الأفغانية وحدها. وفيما بنت اليونان بالفعل جداراً يمتدّ لأربعين كيلومتراً على الحدود مع تركيا، لمنع تدفّق اللاجئين الأفغان إليها، تستمرّ أعمال الإنشاء النشطة على حدود تركيا مع إيران، لإنهاء بناء جدار عازل يمتدّ لـ269 كيلومتراً للغرض ذاته.

وتعيد هذه الموجة الجديدة من اللجوء، التذكير بالثمن الباهظ الذي يتعيّن على الدول الأوروبيّة دفعه من أموال مواطنيها واستقرارهم، كلّما تورّطت الإمبراطورية الأميركية في مغامرة غزو جديد. وكانت أوروبا دائماً مقصداً نهائياً للاجئين اللبنانيين والعراقيين والسوريين والأفغان الذين تشرّدوا من بلادهم بسبب حروب ونزاعات أدارتها واشنطن في السنوات الخمسين الأخيرة، من دون أن تملك القارة العجوز القدرة ولا الإرادة للتصدّي للسلوك البربري للإدارات الأميركية المتعاقبة.

تقرير على غير العادة، لم يغرّد ضاحي خلفان عن لقاء تميم - طحنون، مع أن لا عمل له في هذه الأيام سوى إطلاق التغريدات التي تناول في آخر سلسلة منها كلّ ما يخطر على البال في السياسة، من هجمات كابول الداحية إلى فتح المنافذ البرّية مع سلطنة عمان. ولكن ليس اللقاء بين تميم وطحنون، تجاهلٌ مردّه، على ما يظهر، طبيعة الحركة «الطحنونية» التي تبدو أشبه بتلاوة فعل الندامة. بدءاً من تركيا أمام رجب طيب أردوغان وصولاً إلى قطر، وهو اعتراف قد لا يكون أمام أبو ظبي سواه خياراً بعدما غلبت الاحداث النظام هناك، وجعلته معزولاً تماماً، جرّاء إخفاق كلّ خياراته التي تُبتت غربتها عن الخليج وشعوبه

من تركيا إلى قطر... طحنون يتلو فعل الندامة

حسين إبراهيم

منذ تولّي حمد بن خليفة الحُكم في قطر بانقلاب على أبيه عام 1995، شكّلت الإمارات رأس حربة الهجوم السياسي على الجارة الخليجية؛ إذ سرعان ما استضافت الأب، وساعدته في محاولة لاستعادة السلطة في العام التالي

> اعتراف أبو ظبي بالفشل سيتردّد صداه لدى المعارضة «الإخوانية» الإماراتية الموزّعة بين السجون والمنافي

لم يُكتب لها النجاح. كانت الدوحة، في هذا الوقت، قد بدأت تحفر لها تموضعاً دقيقاً مختلفاً عن الدول الخليجية الأخرى، منتهجةً سياسة خارجية وظّفت فيها إمكاناتها المالية الضخمة، من دون أن تمنح شيكاً على بياض لطرف بعينه، ناسجةً علاقات فيها أرجحية دائمة للولايات المتحدة، وأخرى عملية مع إيران، واتصالات مع إسرائيل، قبل أن يفوز رجب طيب إردوغان بالرئاسة التركية عام 2002، ويصبح الحليف الأول للدوحة، بعد واشنطن، ضمن التحالف الداعم لـ«الإخوان المسلمين». هذا التموضع الذي نجح في انتزاع تأثير سياسي للدوحة تتكرّس مفاعليه اليوم بزيارة مستشار الأمن الوطني الإماراتي طحنون بن زايد قطر ولقائه أميرها تميم بن حمد، لتكون الإمارات بذلك قد أقرّت بفشل المشروع الذي تنتمي إليه والذي بلغت شراسته مداها في السنوات الأخيرة، عندما فرضت أبو ظبي مع الرياض والمنامة والقاهرة مقاطعة رباعية على الدوحة.

كانت الإمارات تطمح إلى تحويل موقعها الاقتصادي كمركز تجاري عالمي إلى موقع سياسي، فانتهجت لتحقيق هذا الهدف خيارات متطرّفة ضمن مشروع أميركي متكامل للشرق الأوسط، شمل «صفقة القرن» لتصفية القضية الفلسطينية، وجَعْل إسرائيل محوراً للأمن الإقليمي، مقابل ضمان بقاء الأنظمة. وهو مشروع اتّضح أنه غير قابل للحياة، ولا قبول له في الخليج، ليتساقط المشاركون فيه من دول وأشخاص، واحداً تلو الآخر، وتبقى الإمارات التي نقلت رهانها بالكامل إلى تحالف ثنائي مع إسرائيل، في ظلّ حكومة بنيامين نتنياهو، قبل أن يسقط هذا الرهان أيضاً مع إطاحة الأخير، نتيجة تغيّر موازين القوى عند العدو نفسه. انتكاساتٌ متتالية سيكون للاعتراف الإماراتي بها صدى عميق يتردّد لدى «إخوان الدولة»، المُوزّعين بين سجون البلد والمنافي في تركيا والغرب، بسبب شدّة التعامل معهم من قِبل السلطات الإماراتية التي تُعتبرهم الخطر الأول على النظام. وعلى رغم أن قطر لم تكن تسمح لمعارضين إماراتيين من أراضيها، إلّا أنها أيضاً لم تقبل طلبات أبو ظبي بتسليم معارضين لجأوا إليها في طريقهم إلى المنفى، مثل الناشطة الراحلة آلاء الصديق التي توفّيت في حادث سير في لندن قبل أسابيع، وأعيد جثمانها ليُدفن في قطر، حيث كانت قد أقامت سنوات قليلة، ورفض الأمير مرّتين طلب محمد بن زايد تسليمه إياها. لكن، هل يعني التراجع أن النظام الإماراتي تغيّر، ولن يعود إلى التأمر بعد الآن؟ وهل يعني ابتعاداً إماراتياً عن إسرائيل التي بلغت معها العلاقات قمّة الودّية من جانب حكام أبو ظبي، وطحنون بالذات، قبل أن تخبو؟ الملفّات العالقة بين أبو ظبي والدوحة كثيرة، والزيارة مجرّد بداية متأخرة. فمنذ إعلان المصالحة الخليجية في «قمّة العلا»، في كانون الثاني الماضي، لم تشهد العلاقات بين العاصمتين تسارعاً في التقارب، على غرار ما حدث بين السعودية وقطر، وانعكس توتراً بين الرياض وأبو ظبي. وهذا التوتر بدوره مثّل عاملاً حاسماً في تفاقم العزلة الإماراتية، وبالتالي

تأتي حركة طحنون استباقاً لأيّ ارتدادات لفشل المشروع الإماراتي الأصلي (أ ف ب)

ومنعت مواطنيها من زيارة قطر، وفرّقت بين الزوج وزوجته. ولولا أن سارعت إيران وتركيا إلى تأمين البديل، ووفّرت أجواء الأولى المتنفّس الوحيد للسفر من قطر وإليها، بعد إغلاق الأجواء كلّها أمام حركة الطيران القطرية، لأمكن لدول الحصار خنق الدوحة وإخضاعها، بذريعة منع التدخّل في الشؤون الداخلية للدول الأربع، من خلال التحالف مع «الإخوان المسلمين» وإيواء قادتهم، والقيام بحملات إعلامية ضدّ هذه البلدان عبر قناة «الجزيرة».

الهاجس الأول للإمارات يبقى حماية النظام. وتأتي حركة طحنون استباقاً لأيّ ارتدادات لفشل المشروع الإماراتي الأصلي الذي خلق لنظام أبو ظبي أعداء كثراً، ما يجعله كُحَماً في مهداف مريدي الانتقام، فيما هو بلا حماية. إذ أخطأ هذا النظام الحساب، حين ظنّ أن الغرب (بعيداً عن شطحات دونالد ترامب) ما زال يحتاج إلى وكلاء من نوع الأنظمة التسلطية نفسها التي كان يتعامل معها طوال العقود الثمانية الماضية، والتي ثبت له أنها ورّطته في مشكلات لم يكن يحتاج إليها، لمصالحها الخاصة، على رغم أنها آمنت له السيطرة على موارد هذه المنطقة الغنية والمهمّة من العالم. باختصار، الغرب على عتبة الخروج عسكرياً من الشرق الأوسط، وهو محتاج إلى ترتيبات أكثر استقراراً تضمن مصالحه، لا تستطيع الأنظمة القديمة تلبيتها. أمّا حركة طحنون فتؤكّد الانعطافة الإماراتية التي ظهرت أوّلاً في زيارته تركيا، بحيث بات يمكن الحديث عن صفقة سياسية محتملة، تشمل تخلّي الإمارات عن مشاريعها، على الأقلّ تلك التي تستهدف قطر وتركيا مباشرة، فضلاً عن استثمارات إماراتية في تركيا، تعويضاً عن الإساءات التي تسبّبت بها أبو ظبي لأنقرة، وخاصة دعم الانقلاب الفاشل ضدّ الرئيس التركي في عام 2016.

كان أحد دوافع زيارة طحنون قطر، وقبلها تركيا، حيث تخشى أبو ظبي من تقارب قطري ـ سعودي ـ تركي يستهدفها. على الأرجح، لن ينسى القطريون بسهولة ما فعلته الإمارات (ودول المقاطعة الأخرى) في عام 2017، حين طردت كلّ مواطنيها من أراضيها، وفرضت عليهم مهلة 14 يوماً لمغادرة البلاد، وإلّا تعرّضوا للسجن. وقد تجلّى ذلك في تعامل الإعلام الإماراتي مع الأزمة الخليجية، وفي الحملات الإلكترونية التي شنّها ذباب إلكتروني إماراتي ضدّ قطر وقيادتها، وصولاً إلى تعليق الإمارات عملياتها العسكرية في اليمن، بعد أن كانت قد أعلنت سحب قواتها من هناك في عام 2019، وهو ما لم يحدث. وقد أكّد ذلك، أخيراً، تقرير لـ«هيومن رايتس ووتش» عن استمرار الإمارات في دعم ميليشيات يمنية، بينها «ألوية العمالقة» و«قوات طارق صالح»، بالسلاح والمال والتدريب، وهو ما يتعارض مع تعهّدات أبو ظبي بالانسحاب من اليمن.

مقالة تحليلية

الجزائر والإرث الفرنسي: ما وراء التحفّظ في التحالفات

> بقرار الجزائر قطْع علاقاتها الدبلوماسية مع المغرب، انتقلت الأزمة المتفاقمة منذ سنوات بين البلدين إلى مستوى غير مسبوق، وهو ما يوفّر فرصة تاريخية لتعزيز العلاقات الجزائرية ـ الإيرانية، التي لا تزال إلى الآن محكومة، من الجانب الجزائري، بضوابط الصلات الخاصة مع فرنسا والولايات المتحدة

عبد الرحمن محمودي،
لينا كنوش

يبدو إعلان رئيس الدبلوماسية الجزائرية، في الـ24 من الشهر الجاري، قطع العلاقات مع المغرب، «المسؤول عن الأزمات المتكرّرة والمتعاظمة» كما سمّاها، ردّاً على الحملة الدبلوماسية الإسرائيلية، بالتنسيق مع الرباط، ضدّ الجزائر. الأخيرة اتّهمت المغرب، رسمياً، باستدراج حليفه الجديد الإسرائيلي إلى «مغامرة غير محسوبة» ضدّها. وفيما بعد، لم يتردّد المجلس الأعلى للأمن، الذي يترأسه رئيس البلاد، وبضمّ القيادة العسكرية العليا، في الإشارة إلى تورّط إسرائيل والمغرب في دعم تنظيمَين إرهابيَين في الجزائر: الأوّل «ماك»، وهو حركة انفصالية في منطقة القبائل تهدف إلى تقسيم البلاد، ولا يُخفي قائدها، فرحات مهني، ميوله الصهيونية، إذ سبق له أن وصف القبائل، في كلمة له أمام «الكنيست» خلال زيارته كيان العدو في 2012، بـ«اليهود الجدد»، لافتاً إلى أن تنظيمه يستلهم «النموذج الإسرائيلي في الانفتاح والتعدّدية»، معتبراً أن على إسرائيل اعتبار «منطقة القبائل دولة شقيقة». كذلك، شكر مهني الملك المغربي على مساندته تنظيمه، وطالبه بافتتاح سفارة «لمنطقة القبائل في المغرب». وجاء الموقف الجزائري الأخير بعد توزيع سفير المغرب في الأمم المتحدة على الدول الأعضاء في «حركة عدم الانحياز» تقريراً رسمياً تُعرب فيه الرباط عن تأييدها لـ«حق الشعب القبائلي بتقرير المصير»، وهو ما شكّل، بحسب الصحافي المغربي علي المرابط، «اعترافاً شبه رسمي بالماك من قِبل المغرب». وتُتّهم هذه الحركة بالمشاركة في إشعال الحرائق التي توسّعت في الجزائر في الأسابيع الأخيرة، وفي الجريمة العنصرية التي ذهب ضحيّتها الشاب جمال بن إسماعيل، والتي هزّت الرأي العام في هذا البلد. وتُعدّ عمليات زعزعة الاستقرار المتتالية تلك، إضافة إلى ما ظهر من قيام الأجهزة الأمنية المغربية بالتجسّس على مسؤولين ومواطنين جزائريين، من بين الأسباب التي تفسّر قرار الدبلوماسية الجزائرية اعتبار المغرب «قاعدة خلفية للتخطيط لعمليات عدوانية مستمرّة ضدّ الجزائر».

خلفيات هذا التردد مرتبطة اساسا بطبيعة النظام الجزائري، والصلات الخاصة التي تجمعه بفرنسا (أ ف ب)

ما زال الجزائريون يَذكرون التهديدات التي وجّهها وزير الخارجية القطري إلى نظيره الجزائري في 2012، خلال اجتماع لـ«جامعة الدول العربية»، سعياً لإجبار الجزائر على وقف مساندتها للنظام السوري، حيث لوّح له بأن «دور الجزائر آتٍ»، لكن تلك الواقعة لم تفلح في تبديل الموقف الجزائري، الذي عاد الرئيس عبد المجيد تبون وأكده بنفسه في مقابلة مع قناة «الجزيرة» القطرية منذ بضعة أشهر. وإذا دلّ ذلك على شيء، فإنما على أن مواقف الدبلوماسية الجزائرية حيال القضايا العربية ليست مجرّد انعكاس لالتزامها بثوابت مبدئية، أو استمرارية لرومانسية ثورية موروثة من الماضي، بل هي تعكس توجّهاً استراتيجياً محكوماً بضرورات الدفاع عن سيادة الجزائر الترابية ومصالحها الجيوسياسية والأمنية. ومن الواضح اليوم، على ضوء التطوّرات الجارية، والاستقطاب الحاصل بين الدول العربية التي انضمّت إلى معسكر التطبيع مع إسرائيل، وتلك المنخرطة في مواجهة مفتوحة معها، أن المقاربة التي تبنّتها الجزائر تبدو واقعية ومتوازنة. لكن، وعلى الرغم من الإدراك المتزايد للتهديدات المترتّبة عليها، فإن الجزائر لا تزال مترددة في الإلتحاق بالمعسكر الثاني، ممثّلاً بمحور المقاومة.

خلفيات هذا التردّد مرتبطة أساساً بطبيعة النظام الجزائري، والصلات الخاصة التي تجمعه بفرنسا، رأس حربة الإمبريالية الغربية في أفريقيا والحليف الأوّل لإسرائيل في أوروبا. فبعد وفاة الرئيس الأسبق هواري بومدين، والتخلّي التدريجي عن الخيار الاشتراكي، نشأت برجوازية جزائرية مرتبطة عضوياً بالغرب وبالمستعمر السابق. وتعاظمت هذه الصلات في القلب من سلطة أصبحت تمثّل تلك الطبقة، وهو ما يمكن الاستشهاد عليه بالعدد الكبير من الوزراء السابقين الذين انتقلوا للعيش في فرنسا، والفساد المستشري في المؤسّسات والذي يمثّل التسعير الباهظ للسلع المستوردة بما يفيد الشركات الفرنسية، نموذجاً منه. وبعد فترة وجيزة في 2019 بدا فيها أن المصالح الفرنسية أضحت مهدّدة، اتّجهت الأوضاع للعودة إلى سابق عهدها، مع إطلاق سراح العديد من المسؤولين السابقين والمقاولين المقرّبين من فرنسا. وفي الإطار نفسه، تندرج تصريحات تبون التي يكرّر فيها تمسّكه بصداقته مع نظيره الفرنسي، على رغم أن الأخير لم يتردّد، خلال اندلاع الحرائق في شمال الجزائر، في مخاطبة الشبكات البربرية المحلّية المرتبطة بفرنسا، على حساب علاقاته الرسمية مع الحكومة الجزائرية. إذ أعرب إيمانويل ماكرون، في تغريدة، عن تضامنه مع «أصدقاء فرنسا» في الجزائر، معلناً نيّته إرسال قدرات جوّية لإطفاء الحرائق في منطقة القبائل، بعد حملة صاخبة شنّها أنصار التيار البربري، طالبوا خلالها فرنسا بمساعدتهم. ويعني هذا التصريح المُوجّه إلى وكلاء فرنسا المحليين، والذي يمثّل خطيئة دبلوماسية بلا شكّ، أن أكلاف القدرات الجوّية المرسَلة سيدفعها دافع الضرائب الجزائري، وأن تلك الطائرات ستقوم بوظيفتها في منطقة القبائل حصراً، التي ينشط فيها تنظيم انفصالي مدعوم من إسرائيل والمغرب، وهو ما يُعدّ إشكالياً بامتياز.

جزائر اليوم ليست نفسها «جزائر بومدين»، ولا يمكن مقارنتها بكوبا أو بإيران

جزائر اليوم ليست نفسها «جزائر بومدين»، ولا يمكن مقارنتها بكوبا أو بإيران، غير أنها لا تستطيع التعامي عن عمليات زعزعة الاستقرار التي تستهدف سيادتها وأمنها ومصالحها الوطنية والإقليمية. فالتصدّي لسياسة التحالف الثابت مع فرنسا والولايات المتحدة، المنسجمة مع مصالح بعض الدوائر السياسية والمالية، أضحى مسألة أمن قومي، إن لم يكن الأوان قد آن للبلاد التي سُمّيت يوماً بـ«مكّة الثوريين»، لأن تعود قطباً للمقاومة.

اليمن

حراك المهرة يستنفر بريطانيا قوّاتنا تحت الخطر

صنعاء - رشيد الحداد

كثّفت بريطانيا، خلال اليومين الماضيين، تحرّكاتها الدبلوماسية لدى مسؤولين سعوديين وآخرين في حكومة الرئيس اليمني المنتهية ولايته عبد ربه منصور هادي، لمواجهة تداعيات التصعيد الشعبي المناهض لوجود قواتها في محافظة المهرة اليمنية. وبعد يوم واحد من اتهام «لجنة اعتصام المهرة»، بريطانيا، بإدخال ضباط إسرائيليين إلى مطار الغيضة الشهر الفائت، وتجنيدها عملاء وخلايا لمصلحتها، التقى السفير البريطاني في اليمن ريتشارد أوبنهايم أول من أمس في الرياض، نائب هادي، علي محسن الأحمر، الذي يُعدّ مسؤول ملفّ المحافظات الشرقية التي تضمّ المهرة وحضرموت وشبوة. وفي اليوم نفسه، اجتمع أوبنهايم إلى رئيس حكومة هادي، معين عبد الملك، باعتباره مهندس تسليم المهرة للقوات السعودية، بالإضافة إلى وزير داخليته، إبراهيم حيدان. وكان السفير البريطاني التقى السفير السعودي لدى اليمن محمد آل جابر، الذي يمثّل الحاكم المدني السعودي في المحافظات الجنوبية والشرقية ومنها المهرة. وطالب أوبنهايم، خلال تلك اللقاءات، بالمساعدة في تأمين القوات البريطانية من أيّ هجوم جوي محتمل على مقرّ تواجدها في المهرة، خصوصاً بعدما هدّد المتحدّث باسم حركة «أنصار الله»، رئيس وفدها التفاوضي، محمد عبد السلام، الأسبوع الماضي، بأن تلك القوات تمثّل هدفاً مشروعاً للجيش اليمني و«اللجان الشعبية». كما حذّر المسؤول الدبلوماسي البريطاني من أن حراك قبائل المهرة يرفع معدّل المخاطر على الوحدات الخاصة البريطانية في المحافظة.

> دعا السفير البريطاني السعودية وحكومة هادي إلى المساعدة في تأمين قوّات بلاده في المهرة

وتأتي هذه التحرّكات البريطانية في أعقاب اتهام رئيس «لجنة اعتصام المهرة»، الشيخ علي سالم الحريزي، خلال مؤتمر صحافي عقده في مدينة الغيضة (مركز المحافظة) الأربعاء، بريطانيا، بإدخال ثلاثة ضبّاط إسرائيليين إلى مطار المدينة، ودعوته قبائل المهرة إلى النفير العام استعداداً لمرحلة احتجاجات جديدة لن تنتهي إلّا برحيل القوات المحتلّة من المحافظة. وتحدّث الحريزي عن «تحرّكات بريطانية لعسكرة المهرة عبر تجنيد جواسيس وخلايا لنشر الفوضى، بعدما فشلت السعودية في تجنيد القبائل»، مشيراً إلى أن «دخول القوات البريطانية إلى المهرة بذريعة ملاحقة مَن وصفتهم بمُطلقي الطائرات المسيّرة على ناقلة النفط الإسرائيلية ميرسير استريت الشهر الفائت، جاء بناءً على استدعاء سعودي»، مضيفاً أن «تلك القوات خلّفت القوات الأميركية التي انسحبت من المهرة إلى محافظة حضرموت المجاورة، من دون إعلان، أخيراً». وشدّد على أن «استقرار الوضع في المحافظة مرتبط بخروج القوات الأجنبية»، التي اتّهمها بـ«تغذية الاقتتال والفوضى والإرهاب بغية تكريس وجودها مستقبلاً». من جانبه، لفت شيخ مشايخ سقطرى المتواجد في المهرة، عيسى بن ياقوت، إلى أن «هناك قوات إسرائيلية في مطار الغيضة الذي يُستخدم كقاعدة عسكرية للقوات الأجنبية، دخل أفرادها على هيئة سيّاح، وهم ليسوا كذلك، بل يعملون كأجهزة استخباراتية في محافظتي المهرة وسقطرى». وتابع أن «تواجد القوات البريطانية والإسرائيلية في المحافظتين يأتي بتسهيلات من قِبَل القوات السعودية والإماراتية المستغلّة ارتهان حكومة هادي للسيطرة على مناطق يمنية استراتيجية، وتوسيع دائرة النفوذ الإسرائيلي في المنطقة العربية». وتوعّد بن ياقوت بـ«انتفاضة ضدّ الوجود الأجنبي في سقطرى»، معلناً أن «لجنة الاعتصام السلمي هناك ستدشّن مرحلة جديدة من التصعيد ضدّ وجود القوات الإماراتية، بالتزامن مع تصعيد مماثل ضدّ القوات السعودية والبريطانية في المهرة، على رغم كلّ الملاحقات والاعتداءات التي طاولت أعضاء اللجنة». وبالتزامن مع ذلك، استدعت السعودية وكيل محافظة أرخبيل سقطرى، الموالي لهادي، صالح علي سعد السقطري إلى الرياض بصورة عاجلة، في ما يبدو محاولة لاستدراك خطر التحرّكات الشعبية التي امتدّت من المهرة إلى الأرخبيل، خشية انتقالها إلى محافظات جنوبية أخرى.

ستدشّن «لجنة الاعتصام السلمي في المهرة» مرحلة جديدة من التصعيد ضد القوات الأجنبية (أ ف ب)

سوريا

بوادر تصعيد تركي في الشمال: «قسد» تعلي استغاثاتها

تُنبىء التحرّكات والتعزيزات العسكرية التركية على امتداد الشريط الحدودي الشمالي بين سوريا وتركيا، باحتمال اندلاع مواجهة عسكرية جديدة تتطلّع أنقرة من خلالها إلى توسيع نطاق سيطرتها. وبينما تتحدّث قيادات من «قسد» عن معطيات تؤكّد هذا التوجّه، تتعالى مطالباتها لكلّ من موسكو وواشنطن بوقف أيّ هجوم من هذا النوع

أيهم مرعي

شهدت مناطق سيطرة «قسد» في كلّ من منبج وعين العرب في ريف حلب الشمالي الشرقي، وصولاً إلى تلّ تمر وأبو رأسين في ريف الحسكة الشمالي الغربي، خلال الأسبوعَين الماضيَين، تصعيداً عسكرياً تركياً لافتاً، تَمثّل في استقدام تعزيزات إلى تلك المناطق، بالتزامن مع استهدافها بأكثر من 150 قذيفة مدفعية وصاروخية، أدّت إلى سقوط قتلى من «قسد»، وضحايا مدنيّين، فضلاً عن نزوح أكثر من 400 عائلة باتجاه مناطق أكثر أمناً. كما نفّذت أنقرة خمس عمليّات استهدافٍ عبر طائرات مسيّرة، خلال أسبوع واحد، طاولت قيادات عسكرية من «قسد» و«الأسايش» و«الإدارة الذاتية»، فيما أعلن استهداف فريق صحافي في ريف تلّ تمر.

إزاء ذلك، تُظهر القيادات الكردية تخوّفاً واضحاً من احتمال استئناف تركيا عملياتها العسكرية، وشنّها عدواناً جديداً على الأراضي السورية، وهو ما يدفعها إلى الإلحاح في مطالبة الجانبَين الروسي والأميركي بالعمل على تجنيب المنطقة سيناريو من هذا النوع. وفي السياق، اعتبرت الرئيسة التنفيذية لـ«مجلس سوريا الديموقراطية»، إلهام أحمد، أن «الهجمات التركية الجديدة على مناطق وقف إطلاق النار تشير إلى مرحلة جديدة من الحرب التي تشنّها تركيا»، داعية «الأطراف الضامنة إلى تحمّل مسؤولياتها ووقف الهجمات التركية»، فيما طالب القيادي الكردي البارز، الدار خليل، «الأطراف الضامنة بالإيفاء بالتزاماتها، مع ضرورة إبداء دمشق لموقفها، طالما هي حريصة على وحدة سوريا وسيادتها». كما كثّفت «قسد»، و«مسد» و«الإدارة الذاتية» بياناتهم التي أكّدت وجود نوايا تركية فعلية بشنّ عدوان جديد، وهو ما استدلّ عليه رئيس «مجلس تل أبيض العسكري»، التابع لـ«قسد»، رياض خلف، بأن «نقاط التماس بين قسد والقوات التركية والفصائل الموالية لها تشهد تحرّكات مكثّفة وتحشيداً عسكرياً على طول الطريق الدولي M4 الرابط بين مدينتَي تل تمر وعين عيسى شمال الرقة، ما يوحي بحرب جديدة».

من جهتها، أفادت مصادر ميدانية حكومية، «الأخبار»، بأن «الاحتلال التركي قام بزيادة عدد نقاطه وقواعده العسكرية، إلى 12 نقطة وقاعدة، مع استقدام تعزيزات بالمعدّات والجنود، على امتداد الطريق الدولي الذي يربط عين عيسى بتل أبيض»، مشيرةً إلى أن «هذه التعزيزات العسكرية تهدف في الغالب إلى إطلاق عملية عسكرية جديدة، من المرجّح أن تستهدف مدينتَي عين العرب ومنبج في ريف حلب الشمالي الشرقي». وتوقّعت المصادر أن يكون الهدف من «التحرّكات العسكرية في كلّ من تل تمر وأبو رأسين، إشغال قسد عن النيّة الفعلية للهجمات باتجاه ريف حلب»، لافتةً إلى أن «تركيا تريد السيطرة على مدينة عين العرب، من أجل تقطيع أوصال الإدارة الذاتية الكردية، وإضعافها بشكل تدريجي، مستغلّة عدم وجود أيّ قواعد أميركية في المنطقة الممتدّة من عين عيسى وصولاً إلى منبج». وأضافت أن «تركيا تتذرّع بفشل واشنطن في إقناع قسد بإخراج قيادات ومقاتلي حزب العمال الكردستاني من سوريا، واستمرار الخطر الذي يشكّلونه على الأمن القومي التركي».

> كثّفت القيادات الكردية لقاءاتها مع الجانبين الأميركي والروسي في محاولة لمنع الهجمات التركية

وفي ظلّ إدراك «قسد» خطر الهجوم التركي الجديد، كثّفت القيادات الكردية لقاءاتها مع قيادات عسكرية أميركية وروسية، في محاولة لمنْع حصول الهجوم، بالتوازي مع نشر وسائل إعلام معارضة معلومات عن رفض واشنطن طلب «قسد» تزويدها بأسلحة مضادّة للطيران والدروع. وفي هذا السياق، نشرت وسائل إعلام كردية صورة تجمع المتحدث باسم «التحالف الدولي»، وين ماروتو، مع المتحدث الرسمي باسم «قسد»، آرام حنا، في ما قالت إنه «اجتماع مهمّ خُصّص لمناقشة التطوّرات الأخيرة في المنطقة»، واصفة اللقاء بـ«الإيجابي». كذلك، تعمل «قسد» على التذكير بورقتَي معتقلي «داعش» في سجونها، وعوائل هؤلاء في المخيمات الواقعة ضمن نطاق سيطرتها، وحساسية هذين الملفّين بالنسبة إلى الأمن الدولي وخطورتهما. إذ حذّر حنا من أن «صمت المجتمع الدولي سيؤثر فعلاً على جهودنا في مكافحة الإرهاب ورعاية السجون والمخيمات التي تحتضن معتقلي تنظيم داعش وعائلاتهم». واعتبر أن «جهود القوات الروسية في ضبط خطوط التماس وإيقاف الانتهاكات لا ترقى إلى المستوى المطلوب لردع قوات الاحتلال». هكذا، يظهر أن «قسد» لا تزال تُعوّل على الجانب الأميركي في منع تكرار حصول أيّ هجمات، فيما تستمرّ في التنسيق المحدود مع موسكو، التي يكرّر مسؤولو «قسد» اتّهامها بتسهيل احتلال تركيا لمناطق في الشمال السوري. في المقابل، يغيب أيّ تنسيق واضح مع الحكومة السورية، التي تتمسّك بوجهة نظرها في هذا الخصوص، والقائمة على انسحاب «قسد» من الشريط الحدودي وتسليمه كاملاً للجيش السوري، على اعتبار أن ذلك سينزع أيّ ذرائع من أنقرة لشنّ عدوان جديد، وسيسهم في إنجاز تفاهم سياسي وعسكري في المنطقة.

تلوّح «قسد» بورقتَي معتقلي «داعش» ومخيمات عائلاتهم، في محاولتها الضغط على الأميركيين (أ ف ب)

مصر

أزمة في جامعة القاهرة: صراع المخابرات - الأمن الوطني يتمدّد

القاهرة - الأخبار

تُحكم المخابرات المصرية قبضتها الأمنية على جميع الدوائر المحيطة بالرئيس عبد الفتاح السيسي، وينفرد مديرها، اللواء عباس كامل، بجميع القرارات، ليس المرتبطة منها بالحياة السياسية فحسب، وإنّما أيضاً تلك الخاصة بالنشاط الحكومي والمشاريع الجاري تنفيذها، فضلاً عن اختيار القيادات الجامعية والمناصب القيادية في الوزارات، بما يجعل الدولة تُدار من مكتب اللواء، وليس من قصر الرئاسة في مصر الجديدة.

إزاء هذا التمدّد، برز فصل جديد من فصول المعارضة، بعدما انتقد رئيس قسم الإذاعة والتلفزيون في كلية الإعلام في جامعة القاهرة، أيمن منصور ندا، الموقوف عن العمل راهناً، الطريقة التي تُدير فيها المخابرات المشهد الإعلامي، إلّا أن ندا أحيل على التحقيق بحجّة «واقعة» داخلية في الكلية، انتهت قبل أشهر بالتفاهم، بموجب قرار من رئيس الجامعة، محمد عثمان الخشت، الساعي بدوره إلى الحصول على فترة جديدة في منصبه، مع انتهاء ولايته الحالية وتكليفه بتسيير الأعمال إلى حين صدور قرار، إما ببقائه، أو باختيار خليفة له. وخلال رئاسته للجامعة، خالف الخشت القوانين والأعراف الجامعيّة مرّات عدة، لا سيما الخاصة منها بعقود التطوير وعمليات الإسناد لمشاريع البناء، فضلاً عن كيفية تعامله مع الوكلاء والعمداء، ومحاباته البعض على حساب البعض الآخر، وغيرها من الأمور التي تصاعدت في الأشهر الأخيرة. لكن هذه المرّة، اختار معارضو اللواء عباس كامل إخراج كتاب قديم لرئيس جامعة القاهرة يتحدّث فيه عن حقّ الرجل في تعنيف المرأة في كتاب حمل عنوان «المشاكل الزوجية وحلولها في ضوء الكتاب والسنة»، الذي نشر قبل 37 عاماً. وبعدما وصلت نسخة منه إلى ندا، لجأ هذا الأخير إلى صفحته عبر «فايسبوك» لمهاجمة النظام.

في البداية، حاول رئيس جامعة القاهرة تجاهل الأمر، لكن تفاعُل شخصيات حقوقية، وفي مقدّمها رئيسة المجلس القومي للمرأة، مايا مرسي، دفعه إلى إصدار بيان يتبرّأ فيه من الكتاب، ويدّعي أن ما نُشر مقتطع من سياقه، بالإضافة إلى كون الكتاب صدر في بدايات دراسته الأكاديمية. لكن اللافت أن الصراع الدائر بين المخابرات والأمن الوطني ممثّلاً بعملاء كل منهما، أي الخشت وندا، لم يقتصر على إخراج كتاب من الدُرج، لكنه يمتدّ إلى تسريبات مصوّرة بالصوت والصورة، سواء من داخل الجامعة عندما زوّد أستاذ الإعلام بعملية فتح لخزنة الجامعة نشرها عبر حسابه أو بتسجيلات مفبركة قيل إنها منسوبة لأستاذ الإعلام والذي جرى تحويله إلى التحقيق بعد شكوى الخشت. هذا الأخير الذي دخل في سجال، قبل سنوات، مع شيخ الأزهر، أحمد الطيب، ظهرت فيه ساذجة أفكاره وأطروحاته، اشتكى أستاذ الإعلام أمام القسم القانوني في الجامعة، بتهمة انتهاك حقوق الملكية الفكرية عبر نشر أجزاء من الكتاب عبر صفحته في موقع «فايسبوك» من دون موافقة مسبقة. لكن نتيجة التحقيق التي يُتوقّع أن تدين أستاذ الإعلام ليست نهاية المطاف، وذلك لأسباب عدّة يأتي في مقدّمها تأييد أساتذة آخرين في كلية الإعلام، زميلهم الموقوف عن العمل، إضافة إلى أن أجهزة الأمن التي تدعمه سترَدّه بالمزيد لإدانة رئيس الجامعة، وهو ما بات يشغل حيّزاً من النقاشات داخل المخابرات، لمعرفة ومواجهة داعمي التمرّد على قراراتها وتعليماتها.

اختار معارضو كامل إخراج كتاب قديم للخشت يتحدّث فيه عن حقّ الرجل في تعنيف المرأة (من الويب)

إعلانات رسمية

بلاغ رقم 2/8

تُعلن وزارة الاتصالات بأنها ستضع قيد التحصيل اعتباراً من 2021/08/24 الكشوفات التالية:
كشوفات فواتير الهاتف الثابت عن شهر تموز عام 2021
بالإضافة الى كشوفات الفواتير المتأخرة غير المسددة ولقد حددت مهلة اقصاها 2021/09/14 لتسديدها.
وتُذكر المشتركين الكرام بالتدابير التالية:
في حال التخلف:
1 - تقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2021/09/15.
2 - تقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع بالاتجاهين اعتباراً من تاريخ 2021/10/04 وتستوفى الغرامة عن إعادة وصل الخط (11,000 ل.ل.) اعتباراً من هذا التاريخ.
3 - تلغى اشتراكاتهم بصورة مؤقتة بعد مرور شهر واحد على تاريخ قطع الاشتراك اعتباراً من 2021/11/01 ويعاد وصله بعد تسديد المتأخرات المستحقة إضافة الى رسم اعادة وصل الخط (11,000 ل.ل.) وذلك حتى تاريخ الإلغاء النهائي.
4 - تلغى اشتراكاتهم بصورة نهائية بعد مرور ثلاثة اشهر على تاريخ الإلغاء المؤقت اعتباراً من تاريخ 2022/02/01 وتستوفى غرامة قدرها (2%) شهرياً وتحرر الارقام الملغاة وتحصل المتأخرات بالطرق القانونية المعمول بها. إستناداً الى المادة 45 من قانون المحاسبة العمومية.
5 - يُحرم المشترك الملغى رقمه من الحصول على إشتراك جديد قبل تسديد جميع الفواتير المستحقة عليه.
ملاحظة: أ . تقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن دفع فاتورة هاتف شهر حزيران عام 2021 باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2021/08/17.
ب . يمكن للمشتركين الملغاة خطوطهم والذين لم يسددوا فواتيرهم المتأخرة المبادرة الى تقسيط المتأخرات في صناديق المناطق الهاتفية وفي مصلحة الشؤون المالية . مبنى وزارة الاتصالات، شارع رياض الصلح وإمكانية الحصول على إشتراك جديد.
إمكانية تسديد الفواتير عبر الوسائل التالية:
. لدى اي صندوق من صناديق قبض الفواتير التابعة لوزارة الاتصالات على كافة الاراضي اللبنانية.
. لدى اي مصرف عبر توطين الفاتورة مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو أكثر (للاستعلام اتصل بمصرفك).
. مكاتب LibanPost مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو بكلفة 1,500 ل.ل. للفاتورة الواحدة عبر الاشتراك بخدمة «جباية من العنوان» (للاشتراك بهذه الخدمة يمكن الاتصال بالرقم 01/629629 . مقسم 333).
. مكاتب شركة ويسترن يونيون OMT بكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.
. مكاتب شركة ويسترن يونيون BOB FINANCEبكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.
. عبر شبكة الانترنت على موقع هيئة أوجيرو (ogero.gov.lb)
كما تذكر المشتركين: بأحكام المرسوم رقم 93/4565 (المادة الثالثة منه) وتعديله بالمرسوم 11682 تاريخ 1998/01/30 لجهة تحديد مهلة أربعة اشهر للإعتراض بعد إنتهاء المهلة المحددة للدفع والمذكورة اعلاه، ووجوب تقديم طلب الاعتراض في المنطقة الهاتفية التابع لها رقم المشترك.
يُطلب من المشتركين الكرام التجاوب السريع مع مضمون هذا البلاغ، شاكرين لهم حسن تعاونهم.
بيروت في: 5 آب 2021
المدير العام لإستثمار وصيانة المواصلات السلكية واللاسلكية
المهندس باسم أحمد الأيوبي
التكليف 697

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب حسام امين سلمان وكيل سلمى سليم حلاوي لمورثتها وهيبه حسن اللحام سند تمليك بدل ضائع في حصتها في العقار 2277 كفرمتى.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب اسعد حسين زين الدين وكيل نسيب كميل الجوهري لموكله كميل نسيب الجوهري سند تمليك بدل ضائع للعقار 9/2276 c القبة.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلبت دولا محمود عزام وكيلة ماهر سليم الحسنية لموكله كمال حسن شهيب وريث حسن عبدالله شهيب سند تمليك بدل ضائع للعقار 4911 عاليه.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب سلام ميشال سلامه لموكله حنا مارون الفحيلي شهادة قيد بدل ضائع للعقار 898 الخريه.
للمعترض 15 يوماً للمراجعه
يوسف شكر

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
الأخبار al-akhbar
هاتف 01-759500
واتساب 71-513571
فاكس 01-759597

استراحة

كلمات متقاطعة 3820

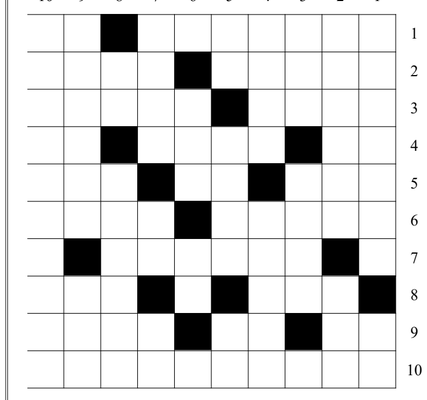

أفقيا

1- غاز الجو – أظلم الليل – 2- مدينة فرنسية – غذاء الطفل – 3- تقف السفينة في الميناء – عاصمة أسيوية – 4- حرف جر – نوع موسيقى راقصة – إسم موصول – 5- خبث وخداع – لعن وشتم – فرَق الشعب – 6- أديب فرنسي من عصر النهضة – مكان درس القمح – 7- مدينة هندية – 8- غيرّ لون الشَعر – عبس وجهه – 9- عاصفة بحرية – ورك – عاصمة أوروبية – 10- أديب فرنسي راحل زار لبنان وفلسطين وقام بأعمال تنقيب أثرية

عمودياً

1- أغنية لأم كلثوم – ضمير متصل – 2- مدينة قبرصية – مدينة لبنانية – 3- بشر – من مشاهير المغنّين في العهد العبّاسي – 4- عائلة فنان سوري مشهور – مدينة نيجيرية – 5- هيئة الملابس – أنصبة في شركة – خنزير برّي – 6- من الحيوانات – إحسان – 7- معدن أصفر – سهل إيطالي – سقي النبات – 8- قلب الثمرة – من الأحجار الكريمة – 9- أحد أبطال حرب طروادة وأمير أرغوس إشتهر بشجاعته – حرف جزم – 10- الطرف الجنوبي لسلسلة جبال لبنان

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- البشب – غوام – 2- مهراجا – 3- ابدا – فر – فك – 4- نا – با – بالو – 5- بلل – لا – جون – 6- المرق – رو – 7- إجحاف – نفيس – 8- حب – تاراوا – 9- بنّ – تَبر – 10- المونالِيزا

عمودياً

1- الإنبطاح – 2- بال – جبيل – 3- يمد – لاح – نمّ – 4- شهاب – لات – 5- بر – المفاتن – 6- اف – أر – ريّا – 7- غجري – قنابل – 8- وا – آجّ – فوري – 9- فلوريا – 10- ميكونوس – فا

3820 sudoku

	6		1	7	8			
7	2							4
		5				1	7	3
		9	3	1		6		
		8				7		
		6		2	5	4		
3	1	7				9		
6							5	8
			6	4	9		1	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 3819

6	2	1	7	8	5	9	3	4
8	3	4	9	1	2	5	7	6
9	7	5	6	4	3	8	1	2
1	4	2	3	5	6	7	8	9
3	5	6	8	7	9	2	4	1
7	8	9	1	2	4	3	6	5
2	1	3	4	9	7	6	5	8
4	9	7	5	6	8	1	2	3
5	6	8	2	3	1	4	9	7

مشاهير 3820

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

أديب وأكاديمي سوداني (1926-1992) عُرف بكتاباته عن الجنوب وتأسيسه لجامعة أم درمان الأهلية. عمل مستشاراً لإتحاد الجامعات العربية والأفريقية
7+1+5+2 = مخيف ■ 6+9+10+11 = أعلى رتبة عسكرية ■ 3+4+2 = ضد
هجا

إعداد
نعوم مسعود

حل الشبكة العاطية: هارولد اكتون

الأخبار
al-akhbar
السبت 28 آب 2021 العدد 4423

صورة وخبر

أعلنت مصر أخيراً عن اكتشاف أوّل أحفورية لحوت برمائيّ عاش في محافظة الفيوم في جنوب البلاد منذ 43 مليون عام، وفق ما نقل التلفزيون الرسمي. سمّى الفريق البحثي الحوت «فيوميستس أنوبيس»، ليجمع بين المكان المكتشَف فيه وهو محافظة الفيوم، واسم «أنوبيس»، أحد آلهة الفراعنة. وكانت وزارة البيئة المصرية قد أعلنت الأربعاء في بيان أنّ البحث الذي شاركت فيه بالتعاون مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وجامعة المنصورة «يكشف عن أقدم حوت أفريقي وأكثر شراسة». وأشارت إلى أنّ هذا الاكتشاف «يسدّ جزءاً من الفجوة الكبيرة في البيانات التي تثبت نظرية تطوّر الحيتان التي كانت تعيش منذ ملايين السنين في بحر التيتس الذي كان يغطي منطقة الفيوم قبل 43 مليون سنة». وأفاد البيان كذلك بأنّ الأحفورية تؤشّر إلى أنّ طول الحوت كان يبلغ نحو ثلاثة أمتار، ووزنه نحو 600 كلغ، وهو أحد الثدييات البرمائية، أي أنّه كان قادراً على المشي في اليابسة والسباحة في البحر. وتابع: «الحوت الجديد يختلف تماماً عن كل أقرانه من الحيتان المعروفة من قبل... كان يتميّز بمهارات افتراس كبيرة، وعضلات فكّين قوية وضخمة مكّنته من الهيمنة على البيئة التي عاش فيها آنذاك». (محمد عبد الغني ــ رويترز)

زياد ولمياء «رواق» في اللاذقية

«على رواق» هو العنوان الذي اختاره الفنان اللبناني زياد سحاب (الصورة) للحفلة التي سيُحييها، في 12 أيلول (سبتمبر) المقبل، على خشبة مسرح «دار الأسد للثقافة» في اللاذقية، بدعوة من «جمعية الإخاء السورية». بالإضافة إلى العزف على عوده طبعاً، سيتشارك صاحب ألبوم «عيون البقر» الغناء مع الشابة لمياء غندور، على أن يرافقهما الموسيقيان السوريان نزار عمران وطارق سكيكر. بما أنّه مرّ وقت طويل على لقائه الجمهور السوري، اختار سحّاب أن يكون ريبيرتوار الموعد المرتقب منوّعاً بين القديم والجديد. من بين هذه الأعمال، نذكر: «راجل فيلسوف»، «فات الهوى»، «سافر غريب الدار»، «حرية في المشاعر»، «الوضع الإقليمي»، «شفتك» وغيرها. ومن المتوقع أن يكون لزياد محطة دمشقية قريباً.

«فرانكو آراب»: ليلة في الحمرا

في الثاني من أيلول (سبتمبر) المقبل، سيكون الجمهور على موعد مع عرض جديد من «فرانكو آراب» في «مترو المدينة». يستعيد هذا العرض الغنائي الموسيقي موجة أغاني الفرانكو آراب التي ظهرت في مصر ولبنان منذ بداية الستينيات، ومزجت أغاني عربية بمقاطع من أخرى أجنبية وألحان غربية. من بين هذه الأغنيات، نذكر: «لوليتا» لعبد العزيز محمود، و«مصطفى يا مصطفى» لمحمد فوزي، و«فطومة» وغيرها. تتولّى ياسمينا فايد وإيلي رزق الله (الصورة) مهمة الغناء. أما الموسيقيون المشاركون في السهرة، فهم: سماح بو المنى (أكورديون)، نضال أبي سمرا (ساكسوفون)، وأحمد الخطيب (إيقاع) وبهاء ضو (إيقاع).

الخميس 2 أيلول ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363

جون كولتراين بيذكّر بالخريف

بعد ستة عقود، تم اكتشاف تسجيل جديد لألبوم A Love Supreme لجون كولتراين (1926 – 1967/ الصورة)، على أن يتم إطلاقه في الخريف المقبل عن Impulse Records. يعود التسجيل إلى سنة 1965، حيث قام الموسيقي وعازف الساكسوفون الأميركي بعزفه في ملهى ليلي، في نهاية إقامة له في The Penthouse في سياتل، برفقة رباعيته الكلاسيكية التي تضمّ ماكواي تاينر (بيانو)، إلفين جونز (درامز)، جيمي غاريسون ودونالد غاريت (باص).

الاكتشاف التاريخي، لم يتمثّل فقط في التسجيل نفسه، بل في جودته، التي ظلّت على حالها بعد انقضاء كل تلك السنوات، فضلاً عن أنّ التسجيل نفسه نادر، خصوصاً أنّ كولتراين لم يقُم بتسجيله مرّة أخرى بعد سنة 1964 إلا خلال أدائه في مهرجان Juan-Les-Pains الفرنسي سنة 1965.

قبع الألبوم لسنوات في أرشيف عازف الساكسوفون الأميركي الراحل جو برازيل، قبل أن يقوم بترميمه أخيراً كيفين ريفز الذي قال للإعلام إنّ «حالة هذا التسجيل لا تزال ممتازة، خلافاً لحالة التسجيلات من تلك الفترة».

علماً بأنّ A Love Supreme يعد أحد أهم ألبومات كولتراين، وحقّق مبيعات هائلة لدى صدوره. ومن المؤكد أن يشكّل صدور هذا التسجيل الجديد الذي يحمل عنوان A Love Supreme: Live in Seattle في الخريف المقبل، مفاجأة سارّة لكل محبّي الجاز.

«أرض العسل» مقدونيا في سن الفيل

في إطار شراكتها مع Temporary Art Platform ضمن «ملاذ . واحة تشاركية لتجاوز الشقاء معاً»، تقدّم «متروبوليس» عروض أفلام في الهواء الطلق في سنّ الفيل، لغاية 5 أيلول (سبتمبر) المقبل. اليوم السبت، سيُعرض الوثائقي المقدوني «أرض العسل» (2019 ـ 87 د ـ إخراج تامارا كوتيفسكا وبوبومير ستيفانوف) الذي رشّح للأوسكار. امرأة ترتدي ملابس صفراء تشاهد من فناء بيتها الخلفي في جبال مقدونيا الشمالية، وصول الجيران الجدد. هي غير معتادة على الضوضاء، تعيش مع والدتها المقعدة العمياء الضعيفة السمع وترعاها. تتابع «هاتيدز موراتوڤا» عائلة تركية تدخل عالمها الخاص البعيد الذي تعيش فيه وتعمل في تربية النحل.

اليوم السبت ـ س: 21:00 ـ سن الفيل ـ للاستعلام: www.togetherwetap.art

الأخبار
al-akhbar

السبت 28 آب 2021
العدد 4423 السنة السادسة عشرة
Samedi 28 Août 2021 nº 4423 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

جوليا بيل
«زومبيات» الزمن المعاصر

سعيد محمد

هناك صفحة على ويكيبيديا ترصد أعداد الناس الذين يموتون بينما يحاولون التقاط صور «سيلفي». يسقطون من علو، أو يدوسهم قطار، أو يفقدون السيطرة على سياراتهم، أو تخطفهم موجةُ بحرٍ عاصف، أو حتى تقتلهم رصاصة أُطلقت بالخطأ. وتكتسب التراجيديا مزيداً من السّواد عندما تقرأ أعمار هؤلاء الضحايا. أغلبيّتهم الساحقة بين 14 و21 عاماً.

في الألمانيّة يُطلق عليهم Smombies، تعبير مشتق يعني «زومبيات» الهواتف الذكيّة. هم اليوم في كلّ مكان. بشرٌ فقدوا القدرة على الانتباه الفاعل مع ذواتهم أو الآخرين من حولهم أو العالم الذي يحتويهم، وأصبحوا عبيداً للشاشات في عالم تعرف فيه شركة غوغل عن كل منّا أكثر مما قد نعرفه عن أنفسنا، ناهيك عمّا قد يعرفه أيّ من أحبائنا عنّا.

جوليا بيل أستاذة الكتابة الإبداعية في «كليّة بيركبيك»، في جامعة لندن، والمعنيّة بمنطقة التقاطع بين الشخصي والسياسي، تعتبر أن ما يجري ليس انتصاراً للتكنولوجيا، بقدر ما هو نظامُ سخرةٍ قروسطي النّسق يسيطر على العقول والقلوب، وتقوده المراكز الرأسمالية التي تباينت بشكلٍ حادّ وكارثي تماماً مع مصالح معظم البشر والكوكب.

تقول جوليا في كتابٍ مقلقٍ قصير نشرته تحت عنوان «الانتباه الراديكالي» (Radical Attention ـ منشورات Peninsula Press) بأن تواجدنا المتزايد على الإنترنت يمثّل عند امبراطوريّات التكنولوجيا الكبرى، مصدراً للدخل الوفير عبر تجميع المعلومات عن الأفراد وبيعها ليس فقط لشركات التسويق، بل للأنظمة الفاشيّة والجهات المشبوهة الأهداف، إلى درجة أن مجلّة أثرياء العالم «إيكونيميست» اعتبرت في 2017 أنّ المعلومات أصبحت سلعةً أعلى قيمةً من النفط. وهكذا كلّما قضى أحدنا وقتاً أكثر متّصلاً بالإنترنت، يكون بكل بساطة يتبرّع بجزءٍ من عمره لإثراء القلّة الجشعة وراء فايسبوك ويوتيوب وتويتر وبقيّة لصوص المعلومات الكبار. أحدهم في إيطاليا أرسل طلب صداقة عبر فايسبوك لسيدة جميلة لا يعرفها، ليتم اعتقاله خلال ساعات. لم يكن المغفّل ليدرك أن السيّدة زوجة مهرّبٍ شهير تحاول السلطات اعتقاله وأنّ طلب الصداقة العبثي ذلك اعتُبر عند السلطات ـ التي تحصل على معلوماتها من فايسبوك لحظيّاً ـ محاولةً للتحايل على مراقبة هاتف الزوجة من قبل زوجها المتخفي. وقد احتاج الأمر لطالب الصداقة إلى قضاء ثلاث سنوات في سجن في صقلية قبل تبرئة ساحته.

وهناك شركة اسمها «كلير فيو إيه آي» تبيع اليوم للحكومات وشركات الأمن الخاص برنامجاً لمطابقة صور الوجوه الملتقطة من كاميرات المراقبة مع قاعدة بيانات مصوّرة تضم أكثر من ثلاث مليارات صورة اشترتها الشركة بكل بساطة من فايسبوك ويوتيوب وغيرهما من التطبيقات «المجانيّة»، ويتم تحديث تلك القاعدة دوريّاً.

ومن المعروف الآن أن الخوارزميّات المعقّدة التي تدير آلاف التطبيقات عبر الانترنت تتسبّب لمستعمليها في الإدمان، وتتلاعب بمشاعرهم عبر تكتيكاتٍ تستهدف نقل الاهتمام من محيطهم المباشر إلى عوالم يتداخل فيها الافتراضي بالواقعي، وتخاطب أكثر النوازع بدائيّة لديهم: كراهيّة الآخر، والتظاهر الاستعراضي، والشبق الافتراضي، والنرجسيّة، ووهم الاختيار.

بيل تنادي بأن نتّخذ موقفاً راديكالياً لمقاومة هيمنة خوارزميّات تطبيقات الإنترنت بينما لا يزال ممكناً الانسحاب، وتكريس الانتباه والنظر اليقظ إلى العالم الحقيقي وخلق وقتٍ للتأمّل والتفكير والتواصل الإنساني بعيداً عن العبوديّة للشاشات. رغم كلّ شيء، ما زال جيلنا يدرك أن ثمّة حياة هناك في الواقع، ويشعر بالذنب أحياناً لضياعه في الصحراء السيبيريّة. لكن ذلك لن يستمر طويلاً، إذ أن الأجيال الجديدة تفتقد لخبرة العالم الحقيقي بشكلٍ متزايد لمصلحة عوالمها الافتراضيّة، وسيأتي وقت ستكون فيه تكنولوجيا التواصل أشبه بما يسميه تيموثي مورتن بـ «الهايبرأوبجيكتس»، أي تلك الأشياء الهائلة التي تحدث لعالمنا بدون أن ندركها أو نمتلك القدرة على استيعابها وتظلّ فكرتنا عنها تجريديّة ونظريّة، بينما هي تبتلع عالمنا رويداً رويداً.

تلك الإجراءات لأجل استعادة راديكاليّة للإنتباه، تظلّ بالطبع في نطاق ردود فعل فرديّة ويائسة وغير كافية مهما انتصرت، وعلاجاً للأعراض من دون المساس بجذر المرض الذي يتخذ من واشنطن عاصمة له ولا تسميه جوليا بيل صراحة، ولكن مع قليل من الإنتباه الرديكالي اليقظ، يمكن دائماً ملاحظته قابعاً كشيطان أكبر وراء كل الشرور التي تعصف بهذا العالم.

حوار

جائزة «فريديريتش غودروف» لجهوده في الثقافة والترجمة من الألمانية وإليها

خالد المعالي: الشعر العظيم لا يُولد كلّ يوم

«مع غبش الفجر وصلتُ إلى المحطة بتلك المدينة، المصادفة وحدها من دلّتني، بعد كلّ تلك المحاولات العائرة للوصول إلى مدينة ما. وصولي كانه اليأس، بقيتُ واقفاً على الرصيف بعدما أسرع الجميعُ في دروبهم... لوّحت الأيدي كثيرة مرحبة بغيري... كان وجهي مُتعباً من السهر وجسمي ضامراً من الجوع... أوهامي تلاشت بين المحطات الكبيرة والصغيرة التي عبرتها. الدفء! لم أعرفه. والأبواب أُغلقت بوجهي دائماً»: تائهاً بين المحطات الكبيرة والصغيرة، حفر الشاعر والناشر والمترجم العراقي خالد المعالي (1956)

خالد المعالي: حين تركت العراق لم يكن في حقيبتي الصغيرة، إلا دیوان امرئ القيس، لزوميات المعري، شرح ديوان الحلاج، وكتاب الطواسين للحلاج وكتاب النفري

طريقه في الصخر ليفتح الأبواب المغلقة: من البيئة القليلة الكتب والغنية بثقافة الأشاعة، الى مجاميع الشعراء التي كانت تزحف من المدن الى الثقافة «المركزية» في العاصمة بغداد. فالارتحال بين المنافي حتى الاستقرار في كولونيا (ألمانيا)، اينعت ثمار فضاء السماوة المفتوح على السماء والصحراء وبحث كلكامش عن دفء المعرفة والإبداع في محطات المنافي. شعراً ابتداءً من «لمن اعلن دفتري» (1978). ومرورا بـ «عيون فكّرت بنا» و«خيال من قصب» و«الهبوط على اليابسة» وغيرها وصولاً إلى «أعيش خارج ساعتي» (2018). وصناعةً للثقافة بتاسيسه عام 1990 مع الشاعر عبد القادر الجنابي مجلة «فراديس» التي توقفت عام 1993 ثم مجلة «عيون» عام 1995. إلا أن مشروع خالد المعالي الأبرز كان تاسيسه «منشورات الجمل» في كولونيا عام 1983. الدار التي حمّلها رؤيته وطموحاته في الانتقال بالنشر الى مهنة محترفة يختلط فيها ذوق القارئ برهافة الشاعر واختيارات الناشر المحترف ضمن مروحة تجمع التراث إلى الحداثة وتولي الترجمة عناية خاصة، من ترجمات بودلير وسيوران وبروست وغوته وبيوسا والرواية الغربية الحديثة والشعر الاميركي والفرنسي والالماني الذي تولى خالد المعالي نقل اعمال بول تسيلان وغوتفريد بن وهانس ماغنوس انتسبرغر عنه إلى العربية. نال خالد المعالي أخيراً جائزة «فريديريتش غودروف» من الأكاديمية الألمانية للّغة والأدب تقديراً لجهوده في الثقافة والترجمة من الألمانية وإليها ولمدّ الجسور بين الثقافات. فكان هذا الحوار في «كلمات» حول الشعر والنشر والثقافة والجائزة مع الذي عرّف عن نفسه في عنوان أحد كتبه «أنا من أرض كلكامش»

تقديم وحوار محمد ناصر الدين

■ كيف كانت بداياتك مع الشعر؟ ما هي الروافد التي غذّت ذائقتك ومخيلتك الشعرية؟

ـ لا يعرف الواحد منا اليوم، كيف بدأ، ولماذا؟ رغم أنه يتذكر تماماً تلك اللحظات، الارتعاشة الأولى، وهو يكتب هذراً لا قيمة له، لكنهُ منحةُ شعورٍ خاصاً وانفعالاً لا يُعرف مصدره، ولا قيمته، لم يكن التأثر الأكبر إلا بالبيئة حيث كنا ندور آنذاك، حيث الكتب القليلة، وثقافة الإشاعة هي السائدة، والوحدة مع القطعان، حيث كنت أرعى، سادراً رمقي مما تمنحني إياه الطبيعة. لم تكن طبيعة ما أكتبه توافق ثقافة البيئة عن الشاعر، فبعضهم يمتحنك من خلال ارتجال القصيدة، وبعكسه فأنت لست بشاعر، وآخر يمتحن ذاكرتك في حفظ آلاف الأبيات الشعرية، وبعكسه فأنت أيضاً لست بشاعر، فأنت لا هذا ولا ذاك.

كانت حياتي ومحاولاتي مجرد ارتباك، فتتجمع تلك التأثيرات سواء عن طريق الاحتكاك اليومي أو القراءة التي كونت الصدف لا غيرها نوعيتها... في كل مرّة نواجه سؤالاً كهذا فنجيب إجابة مختلفة، وإن كانت في العمق هي ذاتها، لكنها تلك المشاهد التي تبدو لنا حية، كلما أردنا أن نلقي نظرة على ذلك الماضي البعيد. آه كم هو قريب الآن.

■ العراق هو من أكثر البلاد العربية في إطلاق البيانات الشعرية وتأسيس مجموعات أدبية وشعرية. هل انتسبت إلى جماعة شعرية؟ وهل يمكن للشعر أن يكون عملاً جماعياً مؤسساً أم هو برأيك حالة فردية خاصة؟

ـ كنّا مجموعات غريبة عجيبة، في كل مدينة عراقية نحاول الوصول إلى العاصمة، لكن كلّ منّا يحفر بئره بنفسه، لم أكن جزءاً من مجموعة أو جماعة شعرية، الشعر أو الفنون بشكل عام هما عمل فرديّ محض. نتأكد من ذلك في ما بعد.. في أوروبا، الاصطفافات السياسية ربما كانت مفيدة في تكوين وعي ما، ما زلت أعتقد أنه ضروري، لكن عملية الخلق الفني فردية تماماً، ولا يمكن إلا أن تكون كذلك.

■ كيف تحدّد علاقتك بالتراث؟ وهل من حداثة ممكنة بالانسلاخ عن ألفي سنة من التراث العربي، الشعري منه خصوصاً؟

ـ عايشت هذا النقاش منذ البداية، وهو كما نعلم، نقاش قومي عربي مع اليسار آنذاك. وهو تقريباً نقاش عقيم، وتقريباً لا وجود له في الثقافات الأخرى. أي أنه يستغفل القرّاء، ويدور حول أوهام. فقد عرفت آنذاك، وأرجو السماح لي بتأكيد ذلك - القطيعة هي التواصل - فلا توجد ثقافة تبدأ من الصفر. لهذا لم يعن لي هذا الأمر شيئاً، سوى أنه نكتة سمجة في نقاش ثقافي ضحل. ولا تقوم به إلا ثقافة استهلاكية سطحية، استقبلت كتابات كولن ويلسن وغيره، هذا السيد الذي لا يعني شيئاً كأنه قامة فكرية، هنا لبّ المعضلة. حين تركت العراق لم يكن في حقيبتي الصغيرة، إلا ديوان امرئ القيس، لزوميات المعري، شرح ديوان الحلاج، كتاب «المواقف والمخاطبات» للنفري وعناوين أخرى. لاحقاً، سيتعمق هذا التواصل مع الشرق والغرب.

■ كيف بدأت علاقتك بالكتاب؟ ومتى تولّدت فكرة إنشاء «منشورات الجمل»؟

ـ في الأعوام الأولى في أوروبا، بين فرنسا وألمانيا، كنت على احتكاك مع المحاولات العراقية للنشر في الخارج، مجموعة مجلة «أصوات» التي كانت تصدر في بواتييه حول عبد الحسين الهنداوي، وكذلك مجموعة «الرغبة الإباحية» حول عبد القادر الجنابي... وحين رتبت إقامتي في ألمانيا بعد عام 1980، راودتني فكرة ترتيب مجلة أو دار نشر. لم تكن لدي فكرة واضحة أبداً عن كيفية النشر أو التحرير أو صناعة الكتاب، تماماً مثل بدايتي الشعرية، خبط عشواء! هنا بزغت فكرة نشر مجلة أو دار نشر باسم «الجمل»، المجلة لم تصدر. «منشورات الجمل للنشر والتوزيع» باليد، آلة كاتبة عربية، أما اللوغو، فقد وجدته في الشارع، هكذا في صفحات مجلة ممزوقة. أما الباقي فتفاصيل، كان هذا الأمر في خريف 1983.

■ قلت لي مرة، «منشورات الجمل» ليست «مطبعة»، كيف تحدد رؤية الدار وأهدافها؟

ـ بالتأكيد «منشورات الجمل» دار نشر، وليست وكيل مطبعة. أي أنه لديها مشاريع نشرية واضحة، وليست لنشر المخطوطات وقبض تكاليف نشرها من هذا المؤلف أو ذاك المترجم. أي أنها تعتمد أولاً الاختيار المسبق والتكليف والاتفاق. وبخصوص المخطوطات التي تصلها، فتدرس بعناية، ويتم إقرار نشرها من عدمه. بالطبع لا يمكننا نشر جميع المخطوطات الجيدة التي تصلنا، الناشر المحترف لديه برمجة سنوية وعلى ضوئها يطوّر برمجة المشروع النشري لديه، أما الباقي فهو تفاصيل.

■ تتصدر «منشورات الجمل» اليوم قائمة دور النشر العربية في صناعة الثقافة واختيار العناوين الجادّة والمميزة، كيف وصلت «منشورات الجمل» إلى الاحتراف؟

ـ «منشورات الجمل»، رغم اليات التأسيس العشوائية وانعدام الخبرة، فهي ولدت في ألمانيا، أي تأثرت بمحيطها، وأعتقد أننا تعلمنا الكثير من تجارب النشر هناك، رغم تباين الخلفيات الثقافية والمجتمعية، الرقابة والصرامة، التزمّت الديني وتدنّي حضور النص الفلسفي في غالبية التعليم، الانحطاط الذي تعاني منه مستويات التعليم كافة من روضة الأطفال حتى الدراسات العليا. كل أسباب التخلف هذه، وربما كون الناشر هنا كاتباً وقارئاً في الدرجة الأولى، أمكنهُ الاختلاف عن الآخرين، من دون أن ننسى اليوم وجود دور نشر شبابية ممتازة، لا يمكنني إلا الافتخار بها.. صحيح أن النشر عملية تجارية بالدرجة الأولى، لكنه أيضاً عملية ثقافية بامتياز. المغامرون الشباب اليوم في عالم النشر العربي فرصة أساسية.

■ تنشر مروحة واسعة من العناوين العربية والمترجمة، ما هي معايير اختيار نشر هذه الكتب؟

ـ الأمر بسيط، بعد حياة نشرية قاربت الأربعين عاماً، نعرف ما علينا نشره من التحقيقات التراثية العربية، وهي قائمة لا تكفي لها حياة واحدة أو ناشر واحد، فالأمر هنا يتعلق بمخزون هائل يحتاج إلى جهود العشرات من الناشرين، خصوصاً أنّ هذا المخزون التراثي يشكّل «موزاييك» مذهلاً لم نوله ما يكفي من الاهتمام، بالإضافة إلى كتّاب الحاضر العربي اليوم.

قبل أن أكون ناشراً فأنا قارئ كتب، أتابع بشكل يومي ما يُنشر وما نُشر وما لم يُنشر، وهذا عالم رائع وله روادهُ الذين يتابعون ما نشرتهُ، فهم أيضاً أدلائي، من دون أن أطلب منهم ذلك.

من يعرف هذا، يعرف أيضاً أنّ أمامه أعمالاً هائلة تنتظر الترجمة، وما عليه إلا مواصلة العمل... العمر قصير.

■ تعاني الترجمة اليوم من اللغات الأجنبية إلى العربية من مشكلات متنوعة، من مهنيّة المترجم، وثقافته، والملكية الفكرية، ونظريات الترجمة المختلفة. ما هي برأيك معايير الترجمة المحترفة؟

ـ المشكلة الأساسية هي انعدام المنهجيّة في الترجمة إلى العربية، فالقواميس فقيرة والخلط في المصطلحات هو الشائع، فكلّ مترجم أو ناشر أو مؤسسة حكومية ثقافية أو شبه حكومية يبدأ من الصفر، وبالتالي نضيّع مجهودنا في وضع البدايات، ولا نعرف حتى أهمية التراكم المعرفي الذي سوف يذلّل لنا مئات المشاكل في هذا المضمار.

■ خضت تجارب كبيرة في الترجمة من الألمانية إلى العربية، ومنحتك «الأكاديمية الألمانيّة للغة والأدب جائزة «فريدريتش غودروف» لعام 2021. ماذا علّمتك هذه التجربة ككاتب وناشر؟ وما هي أهمية هذه الجائزة تحديداً في مدّ الجسور بين الثقافتين الألمانية والعربية؟

ـ معرفة أي لغة أخرى، هي إضافة، هي أيضاً مرآة للمقارنة، رؤية الذات بعيْن أخرى. لقد أنجزنا ترجمة أكثر من مئة عنوان من الكتب الألمانية، خلال ربع قرن، لكني أيضاً بشكل شخصيّ أسهمت في ترجمة العديد من الكتب الشعرية وبشكل خاص إلى الألمانية، وقد مُنحت هذه الجائزة تقديراً لجميع هذه النشاطات.

■ كيف تنظر إلى واقع الثقافة العربية اليوم، وهل تؤمن بنظريات «الموت» من «موت الكتاب» و«موت الثقافة» و«موت الشعر» مثلاً؟

ـ حينما وصلت إلى فرنسا عام 1978، كان هناك من يتحدث عن «موت الشعر» إلخ... هذه الأفكار تطفو دائماً حين يهيمن العجز. لا يولد الشعر العظيم يومياً، نحتاج لسنوات من الصبر والألم والفاقة، حتى تلد القصيدة والتي قد نحتاج أيضاً إلى أعوام أو قرون أخرى حتى نكتشفُ عظمتها. أعتقد أنه علينا الابتعاد عن القشور.

■ كيف تنظر لدور بيروت في الثقافة العربية اليوم، هل ما زالت برأيك مختبراً لكلّ النظريات الأدبية والشعرية، وهل من مركزية عربية ممكنة اليوم في إنتاج الثقافة؟

ـ الرؤية غير واضحة الآن. ليس في ما يخص بيروت فقط، إنما في ما يخص جميع المدن، فهي تعيش حالات مخاض لا تبدو أسبابه أو حتى نتائجه واضحة، كأنما تهيمن الرثاثة على حياتنا اليوم.

> **منع الكتب لا يمكن أن يختفي، طالما أنّ هناك هيمنة للمقدّس بكل أطيافه**

> **قريباً سننتهي من أعمال نيتشه وأيضاً ستصدر رسائل شارل بودلير في ترجمة كاملة**

■ يُقال إن «منشورات الجمل» تتشدّد في نشر المجموعات الشعرية للشعراء الشباب خصوصاً، هل الأمر كذلك؟

ـ نحن ننشر للشاعر الذي لديه ما يقوله، الذي له صوتُه الخاص. ونحن خصصنا لهذا السبب للشعر وترجمته جائزة باسم سركون بولص، ليس فقط تقديراً لشخص سركون بولص شاعراً ومترجماً، لكن أيضاً من أجل دعم الشعر والترجمة.

■ خصّصت الدار جائزة باسم سركون بولص. كيف تصف علاقتك بسركون؟ وكيف نشأت فكرة الجائزة؟ وهل من كتب غير منشورة أو مذكّرات معه ستصدر قريباً.

ـ قبل أن أتواصل معه أو التقيه، كان سركون بولص بمثابة المعلم. الإقامة المشتركة لأعوام كانت أعواماً ثريّة بالنسبة لي، تجربته مختلفة جداً، وأعتقد أنه عرف ماهية الشعر مبكراً، لكنّه رغم شهرته خلال حياته، لم تعرف كتبه الانتشار، إلّا بعد وفاته في برلين. لكأن وفاته كانت ولادة. توجد بعض الكتابات القليلة له التي لم تُنشر ومن ضمنها رسائله، هناك رسائله إلى أدونيس وإلى يوسف الخال، لم أستطع الحصول على نسخ منها حتى الآن.

■ هل ما زال من كتاب «ممنوع» في العالم العربي؟ وهل من رقابة على بعض معارض الكتب؟

ـ المنع لا يمكن أن يختفي، طالما أنّ هناك هيمنة للمقدّس بكلّ أطيافه. ففي معرض بغداد الأخير (2021) مثلاً، حضر موظّفو الرقابة من وزارة الثقافة العراقية مرات عدة من أجل مراقبة كتب تتناول تاريخ العراق الحديث في زمن صدام بحجّة أنه يمكن أن تكون هذه الكتب لتجميل صورة صدام حسين ونظامه. وبالطبع من ضمنها كتب الروائي والمثقف العراقي سلام عبود: «ثقافة العنف في العراق»، و«من يصنع الديكتاتور»، «صدام نموذجاً»... أو كتب أخرى مترجمة عن لغات أخرى حول عراق صدام حسين... والآن «منشورات الجمل» ممنوعة من الاشتراك في معرض عمان في دورته الحالية لأسباب نجهلها، وهي في القائمة السوداء في معرض الكويت... معرض الكويت هذا خلال إحدى دوراته السابقة، اقترح اتّحاد الناشرين العرب إقامة دورات تثقيفية لموظّفي الرقابة فيه... وعلينا أن نتخيل أبعاد المشكلة.

■ أعادت «منشورات الجمل» ترجمة «البحث عن الزمن المفقود» لبروست. أي شيء يميّز هذه الترجمة؟ وهل من مشاريع ترجمة كبيرة مماثلة؟

ـ ما يميزها هو أنها قدمت بشكل جيد ككتاب مقروء ومريح للعين، أيضاً أعاد الأستاذ جمال شحيد إلقاء النظر في الكثير من المعضلات في الترجمة المنشورة سابقاً. قريباً سننتهي من أعمال نيتشه وأيضاً نحن نمضي في ترتيب أعمال سيوران، كذلك ستصدر رسائل شارل بودلير في ترجمة كاملة... وعسى أدم فتحي لا يخلف وعده لنا في إنجاز ترجمة جديدة لشعره... فتقريباً جميع الترجمات الموجودة اليوم لأعمال بودلير الشعرية لا يمكن اعتمادها.

■ تغيب في كل سنة في عزلة في جبل صنين، وخضت تجربة في المنفى، هل المنفى والعزلة شرطان وجوديان للشاعر؟

ـ المنفى قدر الشاعر أحياناً، لكنه أمر اضطراري. أما العزلة فهي كما أعتقد أمر مطلوب، كنت في ألمانيا أطلب العزلة فيما أجلس في المقهى وأشتغل. الأمر في بيروت شبه مستحيل. هنا أضحت حتى العُزلة في البيت غير ممكنة، فالضجيج يلاحقك ليلاً نهاراً حتى وأنت تحاول أن تنام. لهذا لا بدّ من عزلة في الجبل.

ترجمة

كل تلك القصائد الخفيفة

ماكس نيومان: بورتريه ذاتي (اقلام ملونة على كرتون، 2012).

سيّس نوتيوم

ترجمة: مهدي النفري

على أطول طريق مشيت
الطريق
الذي لا يذهبُ إلى أي مكان
كهوف
منظر طبيعي فارغ
بالوان الرمل والقش
آخرون ساروا معي
أصدقاء، إخوة، عشاق
دائماً ما يقولون وداعاً
ويستديرون يساراً
أو ينعطفون يميناً
يمشون مثل الظلال
كل لوحده
لا ينظرون إلى الوراء
عرفوا أهدافهم
رسموا خطوطاً مستقيمة في الفراغ
رأيتُ الناس يذهبون
من حياتي
يخرجون ببطء من وجودهم
فكرت بهم لفترة طويلة
رأيتُ وسمعت
أصواتهم من بعيد
أصوات الهواء.

■■■

كم حياة تذهب في العمر؟
كم مرة يكون نفس الرأس شخصاً آخر؟
هل يدفع القاتل حبيبةً بعيداً
أم يخترع أحجية أخرى؟
لقد اختلق القصص الخيالية
ابتدع الحياة في جميع الرؤوس
إذا هُم لم يروه فقد راهم هو
بعيداً غنت سوبرانو
بينما هو يحدق بهم
الرؤوس التي صنعها
لا تريد أن تعرفه
غرباء
رفقاء من وجود آخر
مع من لا يريد مشاركة أي شيء معه
ما عدا الخوف

■■■

الحزن له بُعد واحد فقط
فيه كل شيء مخفي
برمشة عين لن تنساه
الحداد والنشوة
لحظات
الحب والصداقة
كرة زجاجية
مليئة بالألوان تتدحرج ببطء
على حافة الملعب
حيث لا يوجد شيء تحتفظ به
كل شيء على الإطلاق مع الحياة
بم أردتَ أن تحتفظ؟
الصوت من الصوت
ذكرى،
كتف،
يد،
لون عينيها،
رائحة الجسد
إلى الأبد

■■■

الآن
الصمت
ما تبقى من المسافة دون ذاكرة

■■■

لا حياة
لا أسمع
خطواتي
بعد الآن
ما يحيط بي
اختفى

■■■

أعمى أمشي بعيداً
كلب
شاحب
في البرد

■■■

هنا يجب أن يكون
هنا أقول
وداعاً لنفسي
سيكون ببطء
لا أحد.

■■■

في طريق الكثبان الرملية قابلت أُمي
لكنها لم ترني
كانت تتحدث إلى شخص آخر،
امرأة،
سمعتها تقول
الجميع يحبني هنا،
كنت أعلم أنها كانت حقيقية
من خلال صوت
حصى السفن تحت قدميها،
ثم رأيت أيضاً شقيقي وأخي
على الطريق مع الماضي نفسه،
الفوضى والاضطرابات، كان لبحر
الشمال رؤوس برية،
كان الشاطئ مهجوراً
كان إخوتي شفافين
رأيت الطريق من خلالهم،
الآن أود العثور على كنز
سن الحوت المغسول أو الذَّهب
كي يكون كل شيء على ما يرام.

■■■

آخر حرف
في ذكرى رحيل الشاعر هانس أندريوس
على الورقة البيضاء
اسم الميت
كتبه بنفسه
أربع رسائل، هل هذا هو؟
كل هذه الكلمات
كل تلك القصائد الخفيفة
لا شيء أكثر الآن
القاع يستلقي على الماء
الشارع على الأقدام
لقد استدار
وعاد
من أين أتى؟

* سيّس نوتيوم شاعر وروائي هولاندي (لاهاي، 1933). عُرف بكتبه عن الرحلات وأيضاً رواياته التي أخذت حيزاً واسعاً بين القرّاء، حصل على جوائز عدّة. تُرجمت أعماله إلى لغاتٍ عديدة. من أشهرها: «الأموات يبحثون عن بيت»، «ليلة في تونس»، «أينما تقع تبقى»، «طقوس»، وغيرها من عشرات الكتب التي توزعت بين الشعر والروايات وكتب الرحلات وكذلك كُتب الأطفال.

قصة

إسكيمو في بلاد الشمس (*)

سعيد منتسب (**)

خرّب جهاز الإنذار، ودخل من نافذة المطبخ. رجلٌ من الإسكيمو، يرتدي بزّة من فرو الدببة البيضاء، ويحمل زجاجة حارقة. قال إنه يحتاج إلى مساعدتي ليعود إلى مخيّمه، وأنه لا يعرف كيف جاء إلى هنا. طلبت منه أن يهدأ قليلاً، أشرت إليه بالجلوس على الأريكة. قال إنه يبدو كحيوان وقع في الشَّرك. رفعت إبريق القهوة، وصببت له فنجاناً. كان يرتجف، وكنت أرتجف. كنت أعرف أن شيئاً غريباً قد حدث. الرجل غائر العينين، ربما في الخمسين من عمره. له نظرةٌ تقطع كالسكين، وفي يده اليمنى المرتجفة زجاجة حارقة.

وضع الزجاجة على الطاولة وأخذ الفنجان وهو مطرق. لم أرفع بصري عنه. خلع برنيطته ببطء ووضعها على يمينه، وقال: «أريد العودة. تركت زوجتي وابنتي في الإيغلو منذ يومين دون زاد. خرجت لأصطاد السمك. لكني لا أعرف كيف تبدّد كل شيء، ولماذا أنا هنا. كل ما أذكره هو تصاعد دخان أبيض كثيف من حولي، ثم لا شيء. أشعر بأني مشوّهٌ وغريب. قالوا لي إنّك الوحيد القادر على مساعدتي. رجاءً، أريد العودة إلى الثلج.»

أعطيته سيجارة «فافوريت»، أمسكها وتركها تسقط على نحو مفاجئ، كأنّ يده ليست يده. أقتربت منه وساعدته على الوقوف، ومضيت به إلى غرفة النوم. كانت رائحته مثل رائحة الجلد المسلوخ، وكان عليَّ أن أقنعه بالاسترخاء على السرير ريثما يسترجع أنفاسه. فكّرت أن هذا الرجل لا يتحاذق على الإطلاق، وأنه ربما هارب من «الترانت سيس». ما الذي سيأتي برجلٍ من الإسكيمو إلى مدينة الدار البيضاء؟ لا بدّ أن رجال الإسكيمو يتغطون الآن بلحوم زوجاتهم السمينات ويمضغون السمك المجفف والنقانق بالتذاذ.

هل هذا الرجل النائم في غرفتي حقيقي؟ سمعته يشخر كمحرك دراجة نارية من النوع الخفيف. قررت أن أخرج وأعود بسرعة. ربما يتعين عليّ أن أضع خطة طوارئ. لا بد أن هذا الرجل خرج من رأسي. لم يحدث أن فكرتُ في رجلٍ بارد. ثم ما سبب ارتعاش الأضواء في المنزل؟ أنا ابن رجل من الشمس، وليس بمقدوري أن أتخيّل أنّ رجلاً من الإسكيمو يخرج من جوفي الحارّ. يساورني الشك في هذا الطراز من الرجال؟ ربما خرج من كتاب «الجحيم الأبيض» لجوليا هاريس، أو «نداء الثعلب الأبيض» لوليس لاندكيست أو «العائلة غلاغلا» لصوفي سوشارد وفرانسوا دولاكور. ماذا كان يفعل بالزجاجة الحارقة؟ هل الحق الأذى بأحد؟ الإسكيمو صيادون مهرة ولطفاء، ينبهرون بفراء الثعالب والدببة القطبية وفيلة البحر وحيوان الرنة. وزيوت الحيتان يغمرون بها أجسادهم لتلمع وتتحمل حروق البرد، ولا يتوهون عن مخيماتهم بآلاف الكيلومترات كما فعل هذا الرجل ذو الشعر الأسود النائم في غرفتي. من الواضح أنه يخفي شيئاً، ومن الواضح أن ما من أحد رآه غيري. انتعلت حذائي وخرجت. انتصبت الأشجار على طول الشارع، وكان الناس كالقرود يقفزون من رصيف إلى آخر. يضحكون ويصفرون، ويغرقون في كل خطوة. وجدت الأمر مسلياً، فبدأت القفز. قفزت لمدة نصف ساعة، لكن رجل الإسكيمو اتّقد في رأسي حارقاً وكثيفاً، كانني ممتلئ بلعاب الشيطان. ما كان ينبغي أن أسمح له بالبقاء؟ ربما لو قاومته لكان رماني بالزجاجة الحارقة، ولكان البيت قد احترق الآن عن آخره. استدرت عازماً على استدراجه إلى الخارج. ولن يستغرق ذلك مني وقتاً طويلاً. يقول إنه من جزر بحر بيرنج التي لم يسبق لي أن سمعت بها، وأنه كان يمتطي زلّاجةً تجرّها كلابٌ بيضاء حين ارتفع الدخان ووصل إلى هذا المكان.

أدرت مفتاح الباب وأصخت السمع. لا بد أنه ما زال نائماً. سأنتظر ريثما يستيقظ. انتبهت إلى أن زجاج النوافذ مضبب باللون الأزرق القاتم، وانني انخسفت بشكل كلي ومفاجئ. وجدت نفسي في قبو تتطاير رغوة بيضاء من أركانه، وصوت ياسمين ليفي يطفو كقطعة مرجان نادر على المسافة الفاصلة ما بين مغطس الحمام وغرفة النوم التي كان بابها مفتوحاً على مصراعيه. لا أحد في الحمام، ولا أحد في الغرفة، ولا أحد في المطبخ. مجرد بقعة دم داكنة متيبسة على الأرض وبرنيطة فرو ملقاة على الأريكة. لا أعرف لماذا تذكرت دون فينانثيو في «أفواه الزمن» وأنا أسترجع ملامح رجل الإسكيمو الذي اختفى. لماذا اختفت الأفعى؟ من أخفاها؟ إدواردو غاليانو؟ الثعبان؟ الغريزة؟... وهل ستعثر الأفعى على رجل الإسكيمو لتعيده إلى الإيغلو؟ أعترف. إنني حذرٌ للغاية، ولكن أؤمن باستحالة أن تلد الشمس رجلاً من ثلج.

(*) من مجموعة قصصية، صدرت حديثاً، بعنوان «قبو إدغار آلان بو»، عن «مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر»، القاهرة.
(**): الدار البيضاء/ المغرب

كوليتّو: الإسكيمو الصغير (مواد مختلفة على قماش، 2020).

شذرات

قصص أطول من عمرك

كارين دفوان: اختناق (فوتوغراف، 2014)

أسامة جلالي *

ما كل هذا الاستهتار؟ جمعٌ غفيرٌ يحتفل بفوز فريقه من دون تقدير للوضع الحرج؟ لا يهمّ، فليتحمل كلٌّ تبعات أفعاله. أووه، تأخّر الوقت. لن أفوّت سهرة السبت في الحانة هذه المرّة.

■■■

والده في المستشفى يصارع الموت، لا أسرّة إنعاش متبقية ولا مكثّفات أوكسجين. لا جدوى من الانتظار هنا. قد يزيد هذا من سوء حالته، يقول الطبيب. يوصل أباه في كرسي متحرّك إلى السيّارة يائساً، يلحقه ممرّض: يا أخي انتظر، سمعتك تتحدّث إلى الطبيب. الوالد متعبٌ قليلاً، أليس كذلك؟ باستطاعتي أن أوفر مكثّفاً للأوكسجين من المستشفى. سأؤجرها لك بأربعمائة دينار مع خمسين ديناراً مقابل الخدمة. ما رأيك؟
- هل ستقتلعها من أحدهم؟ سيموت.
- والدك أيضاً.
مات والده والمريض الذي كان متصلاً بالآلة. ارتفع السعر إلى خمسمائة دينار.

■■■

بقي ينظر إلى خرفانه وهي تنفق واحداً تلو الآخر بسبب مرض أصابها، ثمّ ذهب ليحلّ الشجار الدائر بين جاريه بسبب مجرى ماء يمر بحقليهما من دون أرضه. لقد ظنّ أنّ خرفانه عطشى.

■■■

كان يتحرّق للعودة بعد سنين الغربة تلك. ضمّ أمّه وإخوته بشوق، وتبادلوا القبل، وتخالطت جزيئات أنفاسهم. وزّع عليهم ما طاب من اللباس والحلويات، وفرحوا للمّ الشمل، وحزنوا لموت أمّه.

■■■

رائحة الموت تفوح في الشوارع، لا يخلو نهج من بيت عزاء. ولكن عباس لم يعد يتحمّل حياة العزوبيّة أكثر. يقرّر الزواج في فترة الحجر الصحي ويستدعي القاصي والداني لإقامة حفل صاخب بعد رشوة المعنيين. حالياً يلتقط العريسان صوراً بالأشعة لتبيان نسبة التلف في الرئتين، ويرقدان في قسم الإنعاش.

* بنزرت/ تونس

ثلاث موتات

كاتِبٌ يقتلُ قارئَهُ

حسين الصالحي *

قبل سنة تقريباً قرّرت أن أكون شيئاً، شيئاً أقصد: مادّة ملموسة، أيّ شيء عدا أن أكون بشراً. أودّ أن أكون جذع شجرة. لكن هذا لا يعني أني نسيت موتاتي الثلاث، إذ لا يمكن لأيّ إنسان أن ينسى موتاته. متُّ ثلاث مرات.

حدثت أوّلها في التاسع من ديسمبر، كنّا على قمة جبل وكان أحد الأصدقاء معي. كانت رحلة سياحية لأهم الجبال في تلك المنطقة، حيث كان الطلّاب يجرّون أقدامهم ليرتفعوا عن الأرض. لا أعرف الشعور الذي ألْتَبَسَنا ونحن نضحك ونصفّق في أن نرتفع عن الأرض. لم ندرك أن الارتفاع يعادل السقوط ولكن وبرغبة كبيرة وطئنا التلال وتجاوزنا الصخور الرمادية. متخللين العشب والأشواك الحادة، وكعادة السعادة التي تغمر المرء تجعله يتفوّق بتصرفاته غباوةً. رفع صديقي يدهُ كما لو أنهُ يبسط جناحيه مثل نسر. وقال بصوت عالٍ:

— هي.. هي.. انتبهوا إليّ. عندها رفعت رأسي.

— انزل جناحيك يا ولد. وضحكت، ثم التفتُّ إلى بقية الأطفال، أنا طفل مثلهم، لا يعني أن أقول أطفال أنني كبير. وبصرخة مدوية ملأت المحيط، تناهت الصرخة شيئاً فشيئاً، وصوت اصطدامه بالصخور جعلني أمسك أضلعي، إذ كففت عن الإحساس بها. ارتحى رأسه جانباً بين الصخور، وبصم بدمه عليها. عندها أمسكونا من أيدينا وأصرّوا على أن نرجع إلى الحافلة. وأخذوا جسد الطفل. ولكني كنتُ أشاهده دوماً وهو فارقُ جناحيه على أي مرتفع يصير أمامي.

متُّ في الثاني من شهر أيلول تحديداً الساعة التاسعة صباحاً، طرق ساعي البريد الباب وترك الرسالة، حملتها فوراً وفتحتها وكان فيها الآتي: «إلى العم فخري يؤسفني أن أنقل لك هذا الخبر، أن ابنك توفّي اليوم في حادث سير». المرسل: ديفيد صديقُ ولدك.

حملت الورقة وارتكنت وشرعت بالبكاء، استحضر خيالي صورة الولد وهو مطروح بالشارع. بكيت لنصف ساعة، أفرغت فيها مخزون الدموع كلها. ولكن، أنا لست العم فخري ولا حتى أبوه اسمهُ بهذا الاسم. ولا أي فرد من العائلة! صحيح أن الرسالة جاءت بالخطأ، ولكن بكيت بعين العم فخري الذي لا أعرف من هو.

متُّ في التاسع من أيار، كنت في السينما أشاهد فيلم طرزان، بتصوير وإنتاج جديد. كان طفلاً يجلس بالقرب مني وبجانبه والدهُ، أقول طفلاً لأني في ذلك الوقت كنتُ كبيراً. كبيراً بالموتات لا بالعمر. كان الطفل يصرخ بعناد وفرح، يريد أن يمسك بطرزان وهو يقفز من شجرة إلى أخرى بواسطة الحبال، صحيحٌ أن صوتهُ كان ناعماً مما جعل البقية يتعاطفون معهُ. ولكن، لم يدم ذلك طويلاً، إذ ضربه والدهُ بكف طبع سبابتهُ في منتصف خدهِ. مما جعل الطفل يصمت طويلاً، كنت أسمع فقط شهقات بكائه، وهو يمسح بطرف قميصه تلك الدموع النّقية. لم أنتبه إلى الفيلم بعد، بقدر ما كنتُ مشغولاً بالطفل.

ناولته المنديل خلسة، سحبه مني وكانت نظرتهُ مكسورة للغاية. لمعان عينه وانكماش ملامحه أثارا فيَّ رغبة في البكاء معه.

الموتة الرابعة لم تأتِ بعد. أنا الآن جذع شجرة.
لا أنتظر الفأس...

* بغداد/العراق

جدعون روبات: أوجه بلا ملامح (زيت على قماش، 2019).

تاريخ

الشيعة في المغرب العربي والأندلس تابع: حان وقت الأدب

نستأنف هنا عرض «الشيعة في المغرب العربي والأندلس. الجزء الثاني (الأحاديث)» (منشورات كامبريدج - 2021) هذا المؤلّف الرياضي ونخصّصه للجزء الثاني الذي تناول الباحث جون أندرو موزّو فيه بالذكر مجموعة من الأحاديث، وعددها 77 حديثاً، وذكر مصادرها ومن ثم تعليقه عليها، وختم المجلد بذكر الأعمال التي استشارها.

قال الكاتب في مجال حديثه عن عمله موضوع العرض بالقول: «إذا كان المجلد الأول عن [المسلمين] الشيعة في المغرب والأندلس يركز على التاريخ، فإن هذا المجلد الثاني يركز على الأدب، مع التركيز على أعمال الخميادو موريسكو ذات النزعة أو الإلهام الشيعي. نظراً إلى أن هذه الأعمال مكتوبة باللغة الإسبانية، باستخدام الأبجدية العربية، وأحياناً باللغة الإسبانية، باستخدام الحروف اللاتينية، فقد تعذّر الوصول إليها بشكل عام للعلماء الذين يتحدّثون الإسبانية لكن لا يمكنهم قراءة الأبجدية العربية للموريسكيين، وكذلك الأكاديميين الذين لا يُتقنون اللغة الإسبانية، ناهيك عن نص الخاميادو». قال الكاتب: «الأعمال المُدرَجة في هذه المختارات متاحة بالترجمة الإنكليزية للمرة الأولى. فهي تزوّد القرّاء بمذاق أدب الخميادو-موريسكو ونظرة ثاقبة على المعتقدات والممارسات التعبّدية للمسلمين الأيبريين المشمولين. تلتقط هذه الأعمال الخوف والمعاناة والأمل لدى الموريسكيين كونهم أقلية مسلمة أوروبية مضطهدة. فقد كانوا يصرخون، كما كان يفعل الشيعة المظلومون على مر العصور: يا إمامنا الغائب! قم وتعال لمساعدتنا!» ويعلق على ذلك بالقول: «مهما صلوا، ومهما كانوا يأملون، كانوا ينتظرون واحداً، لكن مهدي أسطورة الموريسكوس لم يستجب أبداً لنداءاتهم حيث تم استيعاب آخر مسلمين غامضين في إسبانيا بالقوة أو طردهم أو إبادتهم جسدياً لأن الهدف المفترض «تطهير الفترة الكاثوليكية أخلاقياً وروحياً»».

لم يكتف الكاتب بإيراد الأحاديث النبوية التي عُثر عليها في أدب الخميادو موريسكو وإنما ناقش في الوقت نفسه مختلف الآراء بخصوص مدى صحتها، وإن كانت تعدّ من الأدب الديني المسلم الشيعي. كما أورد مختلف صيغ الأحاديث وهو هدفنا من الاسترسال الآتي. فلنأخذ الحديث الأول وهو «حديث السفينة». أورد الكاتب الصيغ الآتية: «مَثَلُ أهل بيتي؛ مَثَلُ سفينة نوح؛ من رَكِبَها نجا، ومن تَخَلَّفَ عنها غَرِقَ (موضوع)»، و«إنما مثلُ أهل بيتي مثلُ سفينة نوح من دخلها نجا ومن تخلّف عنها هلك [منكر]»، و«مثلُ أهل بيتي مثلُ سفينة نوح، مَنْ رَكِبَها نَجَا، ومَنْ تخلّف عنها غَرِقَ [ضعيف]»، و«إنما مَثَلُ أهل بَيْتي فيكُمْ مِثْلُ سَفينَةِ نُوحٍ مَنْ دخلها نَجَا ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْها هَلَكَ [إسناد ضعيف]»، و«إنَّ مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من رَكِبَها نَجا، ومَنْ تَخَلَّفَ عنها هَلَكَ [ضعيف]»، و«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق، ومن قاتلها آخر الزمان كان كمن قاتل مع الدجال [ضعيف]»، و«أنه رأى أبا ذرّ رضي الله عنه قائماً على الباب وهو يُنادي: يا أيُّها النَّاس، تَعْرِفُونِي؟ مَن عَرَفَنِي فقد عَرَفَنِي، ومَن لم يَعْرِفْنِي فأنا جُنْدُبٌ صاحبُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأنا أبو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ، الطبراني والحكيم وابن عدي ربطوه أيضاً بكتاب ابن عمر الأخير. كل من الحكيم والترمذي يرويه عن سلطة علي، بحسب المحدثين السنة، كل هؤلاء الرواة جديرون بالثقة.

وفقاً لابن تيمية، لا يمكن الاعتماد على حديث البوابة. مع ذلك، اعتبر الترمذي أنه حسن. ابن رزبهان وحكيم يعتبرانه صحيحاً. أعلى مرتبة توجد في نفحة الأزهر لخناوي حيث يصف حديث الباب بالمتواتر.

لا تظهر نسخة الخاميادو موريسكوس لحديث البوابة أنها موجودة في المصادر السنية المتعارف عليها. مع ذلك، فهو يشبه الحديث الشهير الذي صرح فيه النبي: «أنا مدينة المعرفة وعلي هو الباب» الذي ورد في عدة مصادر شيعية بما في ذلك الكوليناني (864-94) والمفيد.

في حين أن المحدثين المسلمين الشيعة سيقبلون ابن عباس على أنه جدير بالثقة، فإنهم سيعطون أعلى مرتبة من الصدق لجابر بن أبي الله الأنصاري. ولا ينطبق ذلك على عبد الله (614-693) ابن عمر بن الخطاب، الخليفة الثاني الذي يعتبره الشيعة الإثنا عشر ظالماً وغير صادق. في نظرهم، خان عمر النبي محمد، اغتصب الخلافة من علي وساهم في وفاة فاطمة. وعبد الله بن عمر أبو بكر وعمر وعثمان، لكنه رفض البيعة لعلي عندما تم تعيينه خليفة. قُتل علي وسيطر معاوية على الأمة المسلمة، فبايعه ابن عمر على الفور.

على الرغم من حقيقة قيام يزيد بذبح الحسين وعائلته ورفاقه في كربلاء، وإساءة معاملة نسائه عندما كانوا في الأسر، وعلى الرغم من حقيقة أن يزيد نهب المدينة المنورة وسمح لجنوده بقتل ما يقرب من ألف من صحابته وبالاعتداء الجنسي على ألف امرأة وضرب الكعبة، ظل عبد الله بن عمر مؤيداً قوياً له، مستنكراً كل من قام ضده.

قد يكون حديث البوابة موجوداً في مصادر سنية، لكن العديد من علماء السنة يقللون من أهميته أو يعاملونه على أنه موضوع. السلفيون يعتبرونه تزويراً. والمسلمون الوحيدون الذين يؤكدون صحة هذا الحديث ويتعاملون معه على أنه مركزي هم المسلمون الشيعة والصوفية، وكلاهما يشدد على مكانة الإمام علي الذي يعتبرونه الخليفة الروحي للنبي محمد.

ننتقل الآن إلى الحديث رقم 59 في المؤلف الذي يروي شعراً منسوباً إلى زينب الكبرى، لكن من المفيد إيراد الرواية الآتية ذات الصلة كما ترد في المؤلف. قال سبط بن الجوزي في «تذكرة الخواص»: «وذكر عبد الملك بن هاشم في كتاب «السيرة» الذي أخبرنا القاضي الأسعد أبو البركات عبد القوي بن أبي المعالي ابن الحُبَاب السعدي في جمادى الأوّل سنة تسع وستمئة بالديار المصرية قرأه عليه ونحن نسمع قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن رفاعه بن غدير السعدي في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمئة قال: أنبأنا أبو الحسين عليّ بن الحسين الخلعي أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن سعيد النحّاس النحوي: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن رنجويه البغدادي: أنبأنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله البرقي: أنبأنا أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي البصري قال: لما انفذ ابن زياد رأس الحسين (ع) إلى يزيد بن معاوية مع الإسراري، موثّقين في الحبال، منهم نساء وصبيان وصبيات من بنات رسول الله (ص)، على أقتاب الجمال، موثّقين مكشفات الوجوه والرؤوس! وكلما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعدّوه له، فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل، ثمّ يعيدونه إلى الصندوق ويرحلون، فنزلوا بعض المنازل، وفي ذلك المنزل ديرٌ فيه راهب، فأخرجوا الرأس على عادتهم، ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادته، وأسندوا الرمح إلى الدير.

فلمّا كان في نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس إلى عنان السماء! فأشرف على القوم وقال: من أنتم؟

قالوا: نحن أصحاب ابن زياد.

قال: وهذا رأس من؟!

قالوا: رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ابن فاطمة بنت رسول الله (ص).

قال: نبيّكم؟!

قالوا: نعم!

قال: بئس القوم أنتم! لو كان للمسيح ولد لأسكنّاه أحداقنا!

ثم قال: هل لكم في شيء؟

قالوا: وما هو؟

قال: عندي عشرة آلاف دينار، تأخذونها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة، وإذا رحلتم تأخذونه!

قالوا: وما يضرّنا؟!

فناولوه الرأس، وناولهم الدنانير، فأخذه الراهب فغسله وطيّبه، وتركه على فخذه، وقعد يبكي الليل كلّه! فلمّا أسفر الصبح قال: يا رأس! لا أملك إلّا نفسي. وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ جدّك محمّداً رسول الله، وأشهد الله أنني مولاك وعبدك. ثمّ خرج عن الدير وما فيه، وصار يخدم أهل البيت.

الآن، نعود إلى الحديث 59 الذي يقول، والترجمة لنا عن الإنكليزية المترجم أصلاً عن الإسبانية:

الحبيب والمحبوب
ابن أشرف رجل
مات اليوم
تم تدميره وهو محاط بأعدائه
في صحراء كربلاء
يستريح أخي ميتاً ودفناً

يعلق الكاتب على هذا الحديث بالقول: زينب بنت علي، ابنة الإمام علي وفاطمة الزهراء، وشقيقة الإمام الحسين، كانت شبعية صريحة وشاهدة على الفظائع التي حدثت في كربلاء، والمعاملة المُهينة التي عانى أهلها على يد الأمويين في دمشق، شجبت بتحدٍّ الاستبداد في وجه يزيد. ألقت خطباً مؤثرة للقلب وتجمعات رثاء في دمشق وأماكن أخرى، ما يضمن على نحو أساس أن تظل ذكرى الإمام الحسين ومعاناته جزءاً ثابتاً من الوعي الإسلامي الشيعي.

بصفتها خطيباً صريحاً، لن يكون من غير المتوقع أن تقوم امرأة مثقفة من نوعها بتلاوة أبيات شعرية للاحتفال بمناسبات معينة. مشكلة الشعر المذكور في المؤلف نقلاً عن المصدر الإسباني هو التزامها بالمعايير الإسبانية للقافية والمتر. وبالتالي لا يمكننا التحدث عن الترجمة الحرفية لأي شعر عربي أصلي. في أحسن الأحوال، يمكننا تصور ترجمة فضفاضة تم تكييفها مع لغة إسبانية.

على الرغم من أن القصائد المعنية ليست ذات قيمة أدبية كبيرة، إلا أنها تدل على أن المسلمين، في هذه الحالة المسلمين الشيعة، شاركوا في العصر الذهبي الإسباني، وهي فترة راوحت بين عامَي 659 و1492، وازدهر فيها الأدب والفن الإسباني. وبالتالي، يجب أن تتضمن دراسات ومختارات كتابات العصر الذهبي الإسباني بعض الأمثلة الرائعة للشعر والنثر الذي أنتجه الموريسكيون. مؤلف ريادي مهم.

* Shi'ism in the Maghrib and Al-andalus, volume TWO: traditions. Cambridge Scholar Publishing (2021). extent: i-xvi, 241 pages. john andrew morrow.

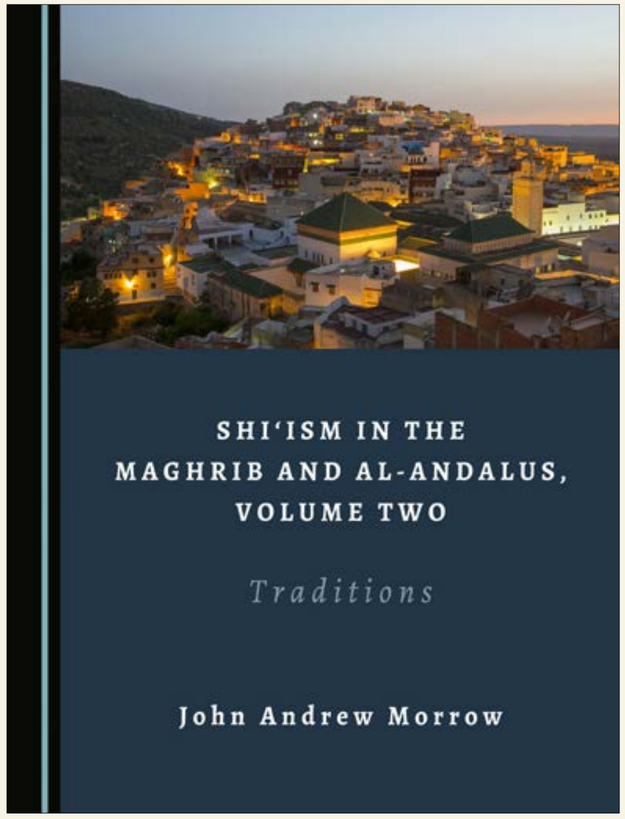

ذكر الباحث جون أندرو موزّو مجموعة من الأحاديث، وعددها 77

إعداد **زياد منى**

ميديا

جوليان أسانج... المناضل من أجل حرّيتنا جميعاً

الصحافي جوليان أسانج إنسانٌ شجاع. ناضل عبر وثائق ويكيليكس من أجل حريّتنا جميعاً، لكنّه يقبع الآن في سجن بريطاني في انتظار قرار تسليمه لواشنطن حيث ينتظره حكمٌ بالسّجن يمتد إلى أطول من قرن.

ولأن جوليان أسانج يتحمّل حالياً السجن نيابةً عنا، جميعنا، المطالبين بحريّة الوصول إلى المعلومات ومن أجل منع دول الاستعمار والاستعمار الجديد من كمّ أفواهنا، فأقلّ ما وجب علينا الآن فعله هو الوقوف إلى جانبه، ودعمه بمختلف الأشكال، وإشعاره بأنه ليس وحيداً ولن يتحمّل وحده نتاج شجاعته المتناهية ويتعرّض فيه لمختلف صنوف التعذيب النفسي. لكن هذا الصحافي البطل لم يستسلم ولم يتراجع وما زال متمسكاً بصحة موقفه ونشر وثائق ويكيليكس التي فضحت، ضمن من فضحتهم، شيوخ العمالة في الخليج الفارسي وطغاة العرب. علينا مواصلة النضال على الصعد كافة من أجل فضح جلاديه وحتى دولته التي تخلت عنه راكعةً أمام السيد في واشنطن؛ ووجب علينا عدم نسيان غدر صحيفة الـ«غارديان» التي ائتمنها على نفسه وعلى وثائق ويكيليكس. ومن بين الأمور التي علينا مواصلتها نشر قضيته وآرائه، وعرضنا هذا يأتي ضمن هذا السياق.

يوفّر كتاب «جُوليان أسانج عن جُوليان أسانج» (أور بوكس - 2021) مسحاً يسهل الوصول إليه عن فلسفة أسانج ومواقفه السياسية. ينقل آراءه حول كيفية عمل الحكومات والشركات ووكالات الاستخبارات ووظيفة وسائل الإعلام، إضافةً إلى تناول أهمية المجموعة الهائلة من الوثائق المسرّبة التي نشرتها ويكيليكس، يعتمد أسانج على ذكاءٍ متعدد المعالجات ليراوح بحُريّة بين فيزياء الكم، والأساطير اليونانية، والاقتصاد الكلي، والأدب الحديث، والإمبراطوريات القديمة والجديدة.

بالاعتماد على رؤيته باعتباره أشهر ناشط في مجال حرية التعبير في العالم، يدعونا أسانج لطرح المزيد من الأسئلة حول كيفيّة عمل القوة في عالمٍ تهيمن عليه بشكلٍ متزايد الإنترنت في كل مكان.

قد يكون أسانج سجيناً خلف القضبان، لكن في هذه الصفحات تنطلق كلماته بحرية، ما يوفر نصيحةً للقتال من أجل عالم أفضل وإلهاماً عند القيام بذلك.

صفحات هذا المؤلف تحوي كلمات جوليان أسانج كما كتبها أو نطقها. وهي تحمل سلطة محامي الضحية الذي خاطر بحريته من أجلها، فخسر حريته وصحته. وتسهيلاً للقارئ، قسمت محررة المؤلف كلمات جوليان أسانج إلى عناوين رئيسة هي: المساءلة، النشاط، الرقابة، إمبراطورية الإنترنت، الصحافة، العدالة، القوة، السجن، المجتمع، المراقبة، الحرب ويكيليكس.

لقد قدم أسانج أدلة وثائقية على توسّع المراقبة والسيطرة على حياة المواطنين العاديين، ما يعكس هيمنة المؤسسة الأمنية «الإسرائيلية» على الفلسطينيين تحت الاحتلال العسكري، لكن ليس في فلسطين وحدها، بل في معظم أنحاء العالم الذي استحال مختبراً عملاقاً لاختبار المعدات والتقنيات والتلاعب النفسي والعنف لمنع الناس من الاحتجاج على ضعفهم وإفقارهم. وإلا كيف يمكن للبشرية أن تقبل أنّ 1% من السكان يكدّس 88% من الثروة بينما النصف الأفقر يكسب 1%؟

وهدف هذا المؤلف تصحيح المعلومات المضلّلة المحيطة بجوليان أسانج وويكيليكس عندما بدأ مركز مكافحة التجسس التابع للجيش الأميركي ما أسماه برنامج «إتلاف أو تدمير مركز الجاذبية هذا» يسمى ويكيليكس في عام 2008، بدأت الحرب النفسية على أسانج. انبَعث وكالات أميركية أخرى . البنتاغون ووكالة المخابرات المركزية العربية الوحيدة التي نشرت وثائق ويكيليكس - ز م) وويكيليكس. ثم جاء قراصنة الكومبيوتر الذين كانوا متعاطفين معنا وأعادوا توجيه مواقع الحكومة التونسية إلينا. هناك برقية واحدة خاصة بنظام ابن علي تغطي نوع البذخ الداخلي والشخصي وإساءة استغلال العائدات. أفاد بعض الأشخاص أن الناس في تونس كانوا مستائين للغاية لسماع هذه الانتهاكات في هذه البرقية، والتي الهمتهم على التّمرد. قد تكون بعض نشر الحقائق، فقال: قوة البرقيات التونسية: «الحكومة التونسية حظرت بالتزامن صحيفة «الأخبار» (الصحيفة العربية الوحيدة التي نشرت وثائق ويكيليكس - ز م) وويكيليكس. ثم قيادة الجيش في التحقيق والمراقبة والتشهير بأسانج. كانت الموارد التي تم حشدها ضد ناشر وصحافي وحيداً غير مسبوقة، وذلك تقديراً لتأثير أسانج. لقد تم تداول كثير من الأكاذيب إلى درجة أنّ الجمهور لم تتح له الفرصة لمعرفة ما فعله وقاله أسانج بالفعل.

جوليان أسانج تحدث في المؤلف عن علاقة ويكيليكس بالأحداث في مصر وتونس ودور الصحافة والإعلام في

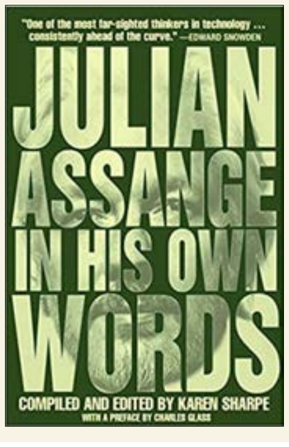

تحدث عن علاقة ويكيليكس بالأحداث في مصر وتونس

أجزاء من ذلك صحيحاً، لكنّ أسبوعين من نشر الوثائق، كان هناك رجل تونسي أضرم النار في نفسه، وهو فني كومبيوتر يبلغ ستةً وعشرين عاماً، بسبب خلاف حول ترخيص في السوق. وقد أدى ذلك إلى خروج الغضب إلى الشوارع. وأهمية وثائق ويكيليكس عن الانتفاضة الشعبية في تونس جاءت في إظهار أن الولايات المتحدة ستدعم الجيش ضد ابن علي. كانت تلك إشارة، ليس فقط للجيش، لكن للجهات الفاعلة الأخرى داخل تونس، وكذلك للدول المجاورة التي ربما كانت تفكر في التدخل مع أجهزتها الاستخباراتية أو العسكرية نيابة عن ابن علي».

ولا بأس هنا من تذكير القرّاء بجوليان أسانج: جوليان أسانج هو مؤسس وناشر ويكيليكس ومؤلف when google met wikileaks, cypherpunks, freedom and the future of the internet. حصل على العديد من الجوائز لعمله الصحافي، بما في ذلك جائزة منظمة العفو الدولية للإعلام في المملكة المتحدة، وجائزة الـ «إيكونوميست»، و«جائزة مارثا جيلهورن للصحافة»، و«جائزة مؤسسة سيدني للسلام»، و«جائزة ووكلي»، وغيرها الكثير. نُشرت مقالات بقلم جوليان أسانج في «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست» و«نيوزويك» و«الغارديان». رُشّح لجائزة نوبل للسلام في مناسبات عديدة عن عمله كونه صحافياً وناشراً ومناضلاً من أجل حرية التعبير، وقد تم الاعتراف به على أعلى مستوى. جوليان يواجه حالياً عقوبة 175 عاماً إذا تم تسليمه إلى الولايات المتحدة لعمله كناشر.

Julian Assange In His Own Words. or books 2021. extent: i-viii, 184 pages. COMPILED AND EDITED BY KAREN SHARPE

تجارة

كارلوس غصن.. ضحيّة أو «نصّاب»؟

نبدأ عرضنا لـ«مسار الصّدام. كارلوس غصن والحرب الثقافية التي انشأت إمبراطورية سيارات عابرة للحدود» (Harvard Business Review Press) يقول المؤلف موضوع العرض: تدين اليابان بالكثير لغصن. فقد قام أولاً بهندسة إنقاذ شركة «نيسان»، ثم قام بتكوين تحالفٍ دوليّ فريدٍ من نوعه، على الرغم من جميع إشعارات النّعي في وسائل الإعلام الماليّة، إلّا أنه لا يزال قائماً بعد عقدين من الزمن. كما أنّه حطّم نظام keiretsu غير الفعّال في اليابان وتحدّى بنظام الجدارة السّلم الوظيفي المحتضر القائم على الأقدمية في البلاد. مع أنه كان «دخيلاً»، إلّا أنّه امتلك الإرادة والقدرة على هدم الحواجز التي لا يجرؤ أي مسؤول تنفيذي ياباني على المسّ بها.

كل تلك النجاحات كانت محوريّة إلى حد ما في مواجهة التغيير السريع في الصناعة، من بعض النواحي، قادت إلى تُهم ارتكاب مخالفاتٍ أخرجته في النهاية من العمل.

الكاتب هانز غريمل مراسل سيارات مخضرم، ولد في ديترويت ومنغمس بعمق في صناعة السيارات اليابانية منذ ما يقرب من خمسة عشر عاماً. كان لديه تواصل مباشر مع كارلوس غصن في أثناء كتابة هذا المؤلف. تأتي العديد من الاقتباسات من غصن في المؤلف من تلك المحادثات ومن المقابلات والتفاعلات الأخرى التي أجراها معه عبر أكثر من عقد كجزءٍ من تقاريره عن أخبار السيارات Automotive News، مصدر الأخبار القياسي لصناعة السيارات العالمية. الكاتب المشارك وليَم سبوزاتو أمضى أكثر من عقدين من الزمن في إعداد التقارير والكتابة عن شركة Japan Inc واقتصادها وأسواقها المالية، مع دمج الفهم العميق لتاريخ اليابان المعقد منذ قرنين من الانفتاح على الغرب، وكيف يؤثر ذلك في البلاد حتى اليوم.

الكاتبان قالا: تحدثنا مع الـ«عيين الرئيسيين المشاركين في قصة «نيسان - رينو»، على كل المستويات، من مكاتب المديرين التنفيذيين للشركات إلى مكاتب المسؤولين الحكوميين وراء الكواليس الذين لا يتحملون، في الواقع، رؤية علاماتهم التجارية الوطنية تتلاشى. تحدثنا إلى أكثر من خمسين مديراً تنفيذياً للسيارات، وقادة أعمال، وواضعي سياسات، وخبراء قانونيين، وأكاديميين، ومصادر أخرى، أجنبية ويابانية. هذا إضافة إلى التقارير اليومية التي قمنا بها للحصول على أخبار فورية عن الفضيحة منذ الليلة التي اندلعت فيها، أي 19 تشرين الثاني (نوفمبر) 2018. وقد طلب بعض هؤلاء عدم الإفصاح عن خلفية معلوماتهم لحماية أنفسهم، وقد احترمنا ذلك.

تلك المحادثات بيّنت أن هناك حقيقة واحدة يتفق عليها الجميع: كارلوس غصن لم يترك فقط بصمةً لا تُمحى على تحالف «رينو- نيسان - ميتسوبيشي» الذي ساعد في إنشائه ثم في إدارته، لما يقرب من عقدين من الزمن، لقد ترك تأثيراً دائماً في الصناعة وفي اليابان. يمكن القول إنه أحد أكثر الأجانب نفوذاً على الإطلاق الذين وطأت أقدامهم هذا البلد.

إعادة تركيبه شركة «نيسان» أعادت صياغة صناعة السيارات وتموجات عبر الاقتصادات العالمية حتى يومنا هذا. لقد كان رائداً في نوع جديد من الأعمال المعولمة لعصر قد تجرؤ فيه الشركات من دول مختلفة وثقافات أعمال مختلفة جذرياً على العمل كفريق واحد ورؤية مشتركة، مع الحفاظ بطريقة أو بأخرى على هويّاتها الخاصة، حتى عندما تتوسّع إلى حجم هائل في حالة التحالف في أكبر مجموعة سيارات في العالم.

لخّص الكاتبان مؤلّفهما وهدفهما منه بالقول: أردنا أيضاً وضع الأحداث في منظور ثقافي وسياسي وتاريخي أوسع ومحاولة الإجابة على العديد من الأسئلة التي أثارتها هذه الأحداث. هل النظام القضائي الياباني غير عادل؟ هل كان غصن ضحية لهذا النظام أم مخطئاً خالف القانون بحكم جشعه وغروره؟ هل يمكن للشركات الكبيرة التي لها هويّاتها الوطنية أن تعمل معاً حقاً؟ هل القومية تحلّ محل العولمة؟ كيف يمكن لصناعة السيارات أن تتكيف مع هجمة التغيير؟ هذه ليست سوى بعض الخيوط التي حاولنا تجميعها معاً.

الأهم من ذلك كله أننا نريد أن تكون دورة Collision Course بمثابة قراءة مقنعة. ما كشفناه في تقاريرنا كان بدوره مُثيراً ومدهشاً وممتعاً ومزعجاً. نأمل أن يكون الكتاب مصدر إلهام للعديد من النقاشات بين قرّائه، ليس فقط حول كارلوس غصن وإرثه، ولكن حول مُثُل العدالة ومستقبل صناعة السيارات ودور الحكومة في الأعمال التجارية الدولية.

ننهي عرضنا المقتضب هذا بكلمات مجموعة العمل التابعة للأمم المتحدة والمعنيّة بالاحتجاز التعسفي التي وجهت ضربة أخرى لصورة البلاد، قائلة: إن الاعتقالات المتكررة لغصن تمثل «انتهاكات خارج نطاق القضاء».

Collision Course, Carlos Ghosn and the Culture Wars That Upended an Auto Empire (2021). extent: i-xii, 378 pages. Hans Greimel, William Sposato

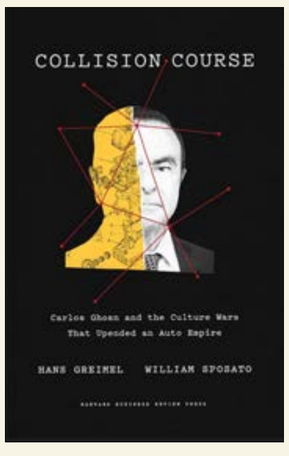

ترك تأثيراً دائماً في الصناعة وفي اليابان

أوراق

حـــرف الـــــلام

زكريا محمد *

للحروف الأبجدية أسماء يُعتقد على نطاق واسع جداً أنها ابتدعت انطلاقاً من المبدأ الاكروفوني، أي التصويري - الصوتي. وهذا المبدأ يقوم على أنك إذا أردت أن تضع رمزاً لصوت من أصوات اللغة، فعليك أن تبحث عن شيء ملموس يبدأ اسمه بالصوت الذي تريد تمثيله، ثم أن ترسم هذا الشيء كي تصبح صورته رمزاً للصوت المقصود، أي حرفاً. وهكذا، فعندما أراد مَن وضع الأبجدية أن يضع رمزاً لصوت «ع»، بحث عن كلمة تبدأ بحرف العين، فاختار العين البشرية ورسم صورتها، فصار رسم العين هو الحرف «ع». يؤيّد هذا أن اسم حرف «ع» هو «عين»، وهو اسم مأخوذ من العين البشرية. ثم فعل ذلك مع الراء، فاختار رأساً بشرياً ورسمه لكي يصير حرف الراء. بناء على ذلك، فإنه يمكن نظرياً استعادة الأصل التصويري للحروف السامية انطلاقاً من أشكالها وأسمائها. وفي الواقع، حدّد الباحثون الأصل التصويري لجزء كبير من الحروف الأبجدية. فحرف «الألف» يمثّل في الأصل صورة ثور، إذ الثور في عدد من اللغات السامية يدعى «ألف». أما الباء فصورة بيت، والراء صورة رأس، والعين صورة عين بشرية، كما بيّنا أعلاه.

لكنّ هناك عدداً من الحروف استعصى على الباحثين التأكد بيقين من أصلها التصويري، مثل حرف اللام والطاء والتاء وغيرها. وهناك اقتراحات عديدة لأصول هذه الحروف التصويرية، لكنها لا تحظى بالإجماع أو الغالبية. وأنا أودّ أن أقدم اقتراحات محدّدة للأصل التصويري لعدد من هذه الحروف بناء على اللغة العربية، بادئاً بحرف اللام.

الأصل التصويري لحرف الراء

نحرف أن حرف اللام انتهى إلى أن يكون تقريباً مثل حرف اللام الإنكليزية: L مع تنويعات بسيطة. لكن هذا الشكل البسيط نتاج مئات أو ألوف السنوات من التطور. فالشكل القديم أشدّ تعقيداً من هذا الشكل. وعند محاولة البحث عن الشكل الأصلي لحرف ما، يلجأ عادة إلى أسماء الحروف في اللغات العبرية واليونانية والجعزية الحبشية. إذ يفترض أن هذه الأسماء تشير، بشكل ما، إلى هذا الأصل. وحرف اللام بالعبرية يدعى: لامد lamed. أما في اليونانية فهو: لامبدا lambda. والصيغتان قريبتان من بعضهما، ما يوحي أنهما انبثقتا من أصل واحد، رغم أن الصيغة اليونانية تزيد باء على الصيغة العبرية. أما في الجعزية، فاسم هذا الحرف هو: lawe، lawi. وهذه صيغة تختلف بشدة عن الصيغتين العبرية واليونانية. وهو ما قد يشير إلى أنها لم تنبثق من الأصل ذاته.

وبالإجمال، فإن الباحثين يميلون إلى إهمال الصيغة الحبشية باعتبارها صيغة ثانوية، وأنها صيغة ثانوية على وزن اسم حرف الواو: واوي wawi، تشبيهاً واستتباعاً، وأنها لذلك لا تعني شيئاً في اللغة الحبشية. غير أن التسمية بالاستتباع، وعلى الغرار، تقتضي أن يكون الحرفان متتابعَين في الجدول الأبجدي أو قريبين من بعضهما على الأقل. والحال، أن هناك أسماء أحرف تفصل بين الاسمين، وهو ما يشكك في فرضية الاستتباع. على أي حال، فقد ركز الباحثون على الصيغة العبرية (لامد) باعتبارها الصيغة التي تتواصل مع الأصل القديم للاسم، بل باعتبارها هي هذا الأصل، ما يجعلنا نأمل الوصول إلى الأصل التصويري لحرف اللام من خلالها. والجذر (لمد) العبري يشير إلى التعليم (تلمود = تعاليم). كما أن «الملمد» هو المنخاس، بالتالي ربما أشارت «لامد» إلى أداة تدريب للحيوانات طريقة التصرف، أو على مهماز أو منخس. هذا مع أن أقدم أشكال حرف اللام قريب من علامة في الهيروغليفية المصرية يفترض أنها تمثل حبلاً متطوياً في نهايته.

وأنا أختلف مع الفرضيات الأساسية حول الأصل التصويري للحرف، وحول كون الصيغة العبرية هي التي ستقودنا إلى هذا الأصل. فالصيغة الحبشية في ما يبدو لي هي الأقدم، وأنها هي التي بإمكانها أن تقودني إلى الأصل الأقدر التصويري القديم لحرف اللام. كما أن عند وجود معنى للكلمة في الحبشية يشير إلى أنها مستوردة من لغة أخرى. بذا فكلمة «لاوي» يمكن أن تكون قادمة من الجزيرة العربية، ومعناها يمكن أن يحل من خلال اللغة العربية، بناء على ذلك.

حرف اللام والحية المتطوية

ومن أجل فهم هذه الكلمة، يجب بالطبع العودة إلى أقدم أشكال حرف اللام، وليس إلى الشكل الذي انتهينا إليه تاريخياً، كما تمثله الصورة أدناه.

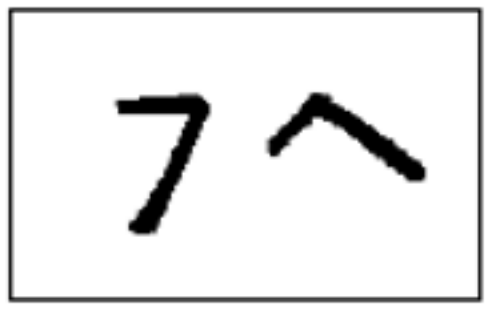

والأشكال الأقدم للحرف تمثل خطاً تتطوى نهايته بشكل حلزوني. وأدناه صور هذا الحرف في عدد من النقوش السينائية التي هي نقوش الأبجدية السامية الأولى في ما يفترض، وعدد من النقوش التي تبعتها زمنياً في فلسطين. وفوق هذه الأحرف صور للعلامة الهيروغليفية التي يعتقد الباحثون أنها الأصل المصري لهذا الحرف، وأنه يمثل حبلاً بنهاية حلزونية.

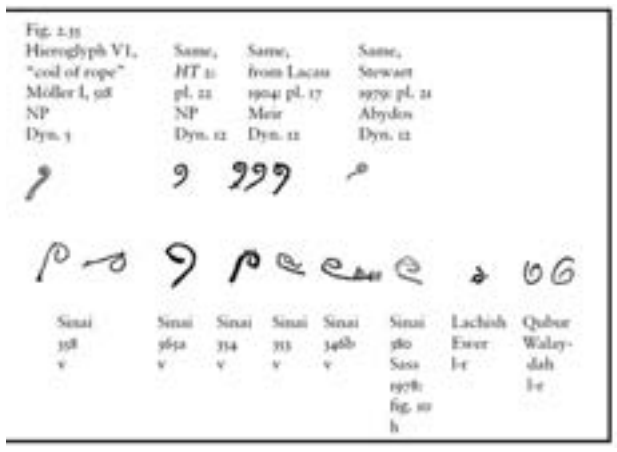

صور الحروف من هاملتون في «أصل الأبجدية»

وأنا أرى أن أقدم أشكال اللام لا يشير إلى الحبل، بل إلى حية متطوية مترحّية متلوية، أو حية آخذة في التطوي والتلوي، أي حية في نومها وبياتها الشتوي. وخذ نموذجاً لهذا الحرف من نقش «وادي المنايعة» في جنوب النقب في فلسطين إلى الشمال من خليج العقبة. وأظن أن اللام في هذا النقش قد تكون أقدم أشكال حرف اللام على الإطلاق، أو أنها تستعيد أقدم هذه الأشكال.

اللام في نقش وادي المنايعة في فلسطين

النقش غير مؤرخ، لكن استناداً إلى النشاط المنجمي المصري في الوادي، فقد اقترح أن النقش قد يعود إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. لكن شكل العلامة العين، العليا في الخرطوش الأيمن، وهي تمثل عيناً تشبه عين «واجيت» المصرية الشهيرة، أو «عين حورس» كما تُدعى أحياناً. ورسمها بهذا الشكل ربما يشير إلى زمن أبعد بكثير من القرن 13 ق.م. ويمكن لي أن أقترح القرن الخامس عشر أو السادس عشر قبل الميلاد. كما أن العلامة العليا في الخرطوش على يسارنا، والتي تشبه عينين وأنفاً، فريدة من نوعها، وتوحي بأنها الشكل الأقدم لحرف الصاد أو حرف الفاء.

على أيّ حال، فاللام في النقش هي العلامة اليسرى في المستوى الأدنى في الخرطوش على يسارنا. وأنا أعتقد أن هذه العلامة تمثل حية متطوية. بالتالي، فهي نقيض العلامة التي تمثل حيتَين منسابتين في الخرطوش الأيمن، ويُفترض أن تقرأ نوناً لا ميماً كما اقترح بعضهم، في اعتقادي. واسم الحية في الجعزية هو «نحس» التي تبدأ بحرف النون. بذا فالأصل التصويري للنون هو الحية (نحس في الجعزية، ونحش في العبرية، وحنش في العربية). بذا فلدينا في النقش أعلاه حية متطوية وحية منسابة، الأولى تمثل حرف اللام، والثانية تمثل حرف النون. بذا تكون الحية قد أعطتنا صورة حرفين من حروف الأبجدية السامية.

الأصل العربي لاسم حرف اللام

والحال، أن تطوي الحية في العربية، أي حركة ترحّيها وتكعكها، هو تلويها: «لواء الحية: انطواؤها» (القاموس المحيط). يضيف اللسان: «لِوَى الحية: جواها، وهو انْطِواؤها؛ عن ثعلب. ولاَوَتِ الحَيَّةُ الحَيَّةَ لِواءً: التَوَت عليها» (لسان العرب). وقال شاعر: «ألوى حيازيمي بهن صبابة/ كما يتلوى الحية المتشرق» (ابن قتيبة الدينوري، المعاني الكبير). والمتشرّق هنا تعني: المتشمس في شمس الشتاء. والفعل المعاكس لفعل التلوي والتطوي هو الانسياب: «وسابَ الأَفْعَى وانْسابَ: إذا خرَج من مَكْمَنِه» (لسان العرب). بذا فالتطوي والتلوي مكوث في المكمن. ومن معنى التطوي والمكوث في الجذر «لوى»، يبدو أن الحية سُمّيت في وقت ما «لاوي» في الجزيرة العربية، فالحية مذكّر عند الغالبية في القواميس العربية أو «لاوية» بالتأنيث. صحيح أن الاسم «لاوي» أو «لاوية» ليس موجوداً مباشرة كاسم للحية في العربية، لكن احتمال أنها سُميت بهذا الاسم في وقت ما ممكن جداً. ولأن صيغة «لاوي» ليس لها معنى في الحبشية بينما هي تملك معنى في العربية، فمن المنطقي أن نحكم أنها مستوردة من العربية القديمة كاسم للحية، ثم كاسم لحرف اللام.

بناء على هذا الاستخلاص، نعود إلى الصيغة العبرية (لامد) واليونانية (لامبدا). ويبدو لي أن من الصعب أن تكون أي من الصيغتين تحريفاً لكلمة العربية «لاوي». لكن من ناحية ثانية، يبدو لي أن الصيغتين مستوردتان من لغة سامية، وأنهما حرِّفتا بعد الاستيراد. ولو أنني حاولت التكهن بالصيغة الأقرب إلى الاسم الأصلي، لرأيت أنها الصيغة اليونانية (لامبدا) لا الصيغة العبرية (لامد). ومن المحتمل أن هذه الصيغة مأخوذة من الجذر «لبد». وهذا يعني أن الميم زائدة في الصيغتين. ولو أبعدنا الميم من الصيغة اليونانية، لصرنا مع «لابدا»، وهذا قريب جداً من «لابده» في العربية. والجذر لبد العربي يعطي معنى التطوي، والتقلص، واللصوق بالأرض: «واللبد: أيضاً الذي لا يسافر ولا يبرح» (الجوهري، الصحاح). يضيف الصاحب: «لبد يلبد لبوداً: لزم الأرض متضائل الشخص... واللبد: اللازم لموضعه لا يفارقه» (الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة). ويضيف اللسان: «الأزهري: الملبد: اللاصق بالأرض. ولبد الشيء بالأرض، بالفتح، يلبد لبودا: تلبّد بها، أي لصق» (لسان العرب). واحال، أن اللبود مع تضاؤل الجسم وتقلصه يشبه التطوي. إنه اسم آخر للتطوي. فالحية المتطوية، أي الحية في بياتها الشتوي، تلبد بالأرض، ولا تبرح مكانها. وهذا ضد الانسياب والتموج والخروج من المكمن.

انطلاقاً من هذا، أفترض أنه جرى تحريف الأصل العربي في الصيغة العبرية من «لابد» إلى «لامد». لكن من المحتمل أن الصيغتين العبرية واليونانية أخذتا معاً الاسم عن لهجة فينيقية أُضيفت إليها ميم. وهذا ما يفسر وجود الميم الزائدة في الصيغتين معاً.

بذا فـ «لاوي» و«لابد» كلمتان مختلفتان تعنيان الشيء ذاته. أما الأولى، فهي عربية بشكل شبه مؤكد، في حين أن الثانية قد تكون عربية الأصل أيضاً، لكنها قد تكون أُخذت من لغة سامية أخرى.

* شاعر فلسطيني